



نوحى داوود



صباح

رواية

الدار المصرية اللبنانية



نهج
داود

رضا

رواية

الدار المصرية اللبنانية

داود، نهى.

رضا: رواية / نهى داود. - ط2. -

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2023.

200 ص؛ 20 سم. - (أدب جريمة)

تدمك: 4 - 417 - 795 - 977 - 978

1- القصص العربية.

أ - العنوان. 813

رقم الإيداع: 2023 / 14192

©

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 202 23910250 +

فاكس: 202 23909618 + ص.ب 2022

E-mail: info@almasriah.com

www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى - الطبعة الثانية: 2023 م.

تصميم الغلاف الفنان: أحمد الصباغ

تعبير الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف

وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء الدار

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد

في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله

رقمياً أو تخزينه أو استرجاعه أو إنتاجه عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

٢٧: ١٧٥٥٨٨١

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



حينما يسكن الرضا النفوس

يسكن كل شيء آخر

*

إهداء

إلى أولئك الذين ظلموا...

فاختاروا أن يرضوا بأمر الله،

ولم يخازوا لخيار الانتقام.

إليكم أنتم...

يا من كنتم أقوى من الشيطان ونزغاته،

ومن النفس وهواها...

أهدي روايتي،

وأنا على يقين،

أن الله قد أهداكم لصبركم هذا، من الخير الكثير...

*

قبل البداية

في لحظة فارقة من الزمن السحيق. وقف إبليس في الظلام يستمع إلى أمر الله الذي غير مصيره، وحياة بلايين من البشر من بعده.

«إني جاعل في الأرض خليفة...»

ألم اعتصر قلب إبليس، وقلق اعتراه.. على مكانته السامية. ولكنه لم يتكلم ولم يفصح عن مشاعره. لم يجادل مثل الملائكة الذين تساءلوا في وجل:

«أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟»

صمت إبليس. حبس مشاعره بداخله فاستحالت إلى مستنقع من الضنك الأسود ابتلعه وكاد يبتلعنا.. إلا من رحم ربي.

ثم خلق الله آدم...

وأمر إبليس أن يسجد له فأبى واستكبر وأعلن ما بداخله:
«أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»

وبدأ عهد المقارنة.. ودشن العداوة الأبدية بينه وبيننا.

عزم إبليس أن يذيقنا من كل كأس شرب منه. من مرارة الهجر والرفض.. والنفي والوحدة. من الحسد والحقد والكره الذي ملأ قلبه تجاه بني آدم جميعاً. ومن

بدأ مهمته متوعداً مشمراً عن ساعديه. زرع في عقل
قاييل بذرة المقارنة، فأنبتت في قلبه الحسد والغيرة، ثم ملأ
قلبه بالشعور بالظلم المختلف لتمتزوج تلك المشاعر التنة وتنصهر
في خطة الانتقام. حتى قتل الأخ أخاه مسطراً بدمائه
الزكية أول جريمة في تاريخ البشرية، وأولى كلمات عهد
الشر.

وبنفس الخطة، وكأننا لا نتعلم، زرع بذور الشقاق بين
يوسف وإخوته بالمقارنة وتعظيم الإحساس الزائف بالظلم..
«ليوسف أحب إلى أينا منا»...

ومن قبلهم، ومن بعدهم، نجح إبليس في أن يذيق
ملايين البشر من كأسه المريرة، أن يطمس روح الله
في جوفهم ويؤجج مشاعر الغيرة ويلعب على أوتار الظلم
والهجران، فلا يجدوا سوى الانتقام سبيلاً..

ومن هنا، تبدأ قصتنا.

حكايات ملايين البشر، تبدأ بالظلم وتنتهي ب...

دعونا لا نستبق الأحداث،

فلنبداً وزراً!

(1)

البداية

حمل الأستاذ محمد طفلته الوليدة بين كفيه، تأمل ملاحظها المنمنمة البريئة، ثم نظر إلى حبات العرق المتجمعة فوق جبين زوجته سامية وملاح وجهها المتغضنة من الألم.

رفع وليدته إلى السماء وهتف:

- هاسميا رضا...

كان يرجو أن يكون الوليد ذكراً، فبعد أن رُزق بابنته البكرية، ظل لسنوات طويلة يسأل الله الولد، وبرغم أن زوجته كانت ترزق بالحمل كل عام أو عامين على الأكثر، إلا أن محاولات الحمل تلك لم يكتب لأي منها الاكتمال.

أحد عشر عاماً مر، قبل أن يكتمل لها حمل، وذلك برغم تحذير الطبيب بأن حالة سامية الصحية متدهورة، ونصيحته بإجهاض الجنين، إلا أن الزوجين أصرا على الاحتفاظ به آمليين أن يرزقا بالولد.

استمرت عملية الوضع لعدة ساعات، نزت فيها سامية كميات كبيرة من الدماء، وأيقن محمد أنه سيفقد زوجته لا محالة.

ولذلك، فقد شعر بتمام الرضا وهو ينظر لزوجته وابنتيه، وعزم أن تكون هذه آخر محاولة لسامية في الإنجاب...

(2)

نانسي

فتحت نانسي عينيها في كسل، لتأمل سقف الغرفة
الموشى بورود ذهبية دقيقة، واتسعت ابتسامتها غير مصدقة
أن الدنيا قد أعطتها هذا القدر من السعادة الخالصة أخيراً.

شعرت بنسيم رقيق يداعب وجهها فنظرت صوب
النافذة الكبيرة التي تحتل الحائط الأيمن من غرفة النوم،
كانت مفتوحة، تتأرجح ستائرهما الحريرية في رفق ودعة.

نظرت نانسي نحو يدها اليسرى تمتع عينيها بخاتم الزواج
الذهبي الذي يزيناها ويؤكد لها أن سعادتها ليست حلمًا.

حركت رأسها يسارًا نحو وحدة الأدراج الصغيرة
الملاصقة للفراش، وتأملت الصورة الفوتوغرافية الموضوعة
فوقها بداخل إطار فضي رقيق، صورة الزفاف...

قربت الإطار إليها، ناظرة لهشام بحب، متأملة قامته
الطويلة وجسده المشوق ووجهه الحليق الذي لا تفارقه
ابتسامته الهادئة، وشعره الناعم القصير الذي يمتزج فيه
الأبيض مع الأسود كمرجة فضية من بعيد.

قامة هشام الطويلة تناقضت في الصورة مع قامتها
القصيرة، والتي حاولت إطالتها برفع شعرها الذهبي إلى
أعلى، وتزيينه بتاج رقيق، بينما تزين جيدها بعقد من
الأماس والزمرد عزز لون عينيها الأخضر المبطن بنخيوط

من الذهب عكسه لون شعرها، فبدت كأميرة أسطورية.
في وسط الصورة، وعلى غير المعتاد في صور الزفاف،
كان وجه زين يضجّ بالمرح وهو واقف بينهما ببدلته
الصغيرة وربطة عنقه الأنيقة.

- ماما نانسي... إنتي صاحية؟

قطع صوت زين تأملاتها في الصورة.

- أهلاً زين حبيبي... تعالى... فين البوسة بتاعتي؟

هرول زين باتجاه الفراش، رفعته نانسي بذراعيها ثم
احتضنته حضناً طويلاً وكأنها تمتص طاقتها منه، سرعان
ما تمتص منه كعادته قائلاً:

- احكي حكاية...

أومأت له برأسها فانطلق إلى غرفته يأتيها بقصة.
وسرحت هي تتذكر أول مرة رأت فيها زين...

*

«شارع الأحزان بدايته... جرح يصحى جوه روح...»

شارع الأحزان نهايته... لما يوم نقدر نوح...»

اقتحم صوت محمد منير الشجي عليها جلستها المترددة في
سيارتها. كان هذا موعدها الأول مع المعالجة النفسية التي
ترددت أشهر طويلة حتى اتخذت القرار بزيارتها، ولكن
عند وصولها اعترها خوف من المجهول، ومن مواجهة

آلامها، تلك الآلام التي دفنتها في منطقة داكنة وعميقة من روحها وأهالت عليها التراب لسنوات.

أتها كلمات منير فتفكرت، هل يكون البوح هو أول خطوة في طريقها نحو سعادتها المفقودة؟ ترجّلت نانسي من سيارتها متوجهة نحو المبنى الذي يقع فيه المركز العلاجي. دلفت من الباب فشعرت براحة نفسية فورية تكتنفها.

حوائط ناصعة البياض، تزينها لوحات جريئة الألوان والخطوط. نباتات خضراء موزعة في الأركان. إضاءة خافتة وأرائك ومقاعد وثيرة متناثرة تجمع بينها الألوان الجريئة غير المعتادة في العيادات والمراكز الصحية. كل شيء حولها كان جميلاً.

وقفت نانسي تتأمل النشرات الدعائية الموجودة على مكتب الاستقبال:

«ورشة عمل يوجا الضحك»- «جلسات تحرير الطاقة» -
«جلسة تداوي بالشموع»...

قطبت نانسي حاجبها في عدم فهم.

- أستاذة نانسي؟ تفضلي... أستاذة حنان في انتظارك.

انتهت نانسي من حيرتها على فتاة الاستقبال وهي تتقدمها نحو إحدى الغرف وتفتح لها الباب، تقدمت نانسي بخطوات مترددة، لترحب بها امرأة في أوائل الأربعينات،

ذات طلة مريحة وابتسامة عريضة وملبس أنيق.

وقفت من خلف مكتبها ومدت يدها لتسلم على نانسي بحرارة وكأنها تعرفها مسبقاً ثم دعتهما للجلوس وبدأت بالكلام:

- خير يا نانسي؟

صمتت نانسي وهي لا تعرف من أين تبدأ.

ابتسمت حنان في تفهم قائلة:

- مش عارفة تبتدي منين؟ طب خلينا نبدأ بسؤال مختلف، إيه اللي تاعبك؟

وكأنما ضغط سؤال حنان على زر التشغيل بداخل نانسي، تزامناً مع الزر الذي ضغطته حنان على جهاز تسجيل صغير إيذاناً ببدء الجلسة.

- النوم يا دكتورة... مش باعرف أنام، على طول عندي أرق.

- مبدئياً، أنا مش دكتورة، أنا معالجة نفسية... يعني مش متخرجة من كلية الطب... أنا دارسة تقنيات مختلفة علشان أساعد الناس وأدعمهم نفسياً.

صمتت حنان لحظة كي تستوعب نانسي ما قالته ثم أردفت:

- الأرق ممكن يكون له أسباب كثير، عضوية أو

نفسية، أو حتى من الجهاز الهضمي.

قاطعتها نانسي:

- أنا رحت لدكاترة كثير وكلهم قالوا مفيش عندي سبب عضوي للأرق. صاحبتني في الشغل قالتلي أجرب حد نفسي، هي عارفة إني مش بحب الدكاترة النفسيين والأدوية وكدة، فقالتلي إن حضرتك مختلفة.

ابتسمت حنان مؤمنة،

- مضبوط.. احكي عن نفسك شوية.. إنتي متجوزة؟

- مطلقة، وما عنديش أولاد... باشتغل مديرة مكتب رئيس مجلس إدارة شركة دولية، عايشة لوحدي ومليش قرايب.. يعني زي ما يقولوا: مقطوعة من شجرة.

استرسلت نانسي في الحكي عن نفسها وعملها وأسباب طلاقها، وحبها للأطفال، ووحدتها... وانتهت الجلسة سريعاً. شعرت نانسي براحة كبيرة لمجرد الحكي، وإن شاب ارتياحها ذاك استغراب خفيف إذ لم تمارس حنان معها أية تقنيات علاجية.

- بداية ممتازة يا نانسي. الجلسة الجاية إن شاء الله هنبدا نحرر المشاعر السلبية اللي جواكي واحدة واحدة.

قلق طفيف انتاب نانسي عند سماعها عبارة «الجلسة الجاية»، كانت ترجو أن يتم الأمر من جلسة واحدة فقط، فلم تكن متأكدة من أن لديها قدرًا كافيًا من الشجاعة

للقدوم مرة ثانية.

عاجلتها حنان بسؤالها:

- الأسبوع الجاي زي النهاردة؟

ابتلعت نانسي ريقها، وأومأت برأسها في صمت، ثم
خرجت من الغرفة شاردة، فحدث الارتطام...

- زين، خللي بالك.. اعتذر لطنط.

- هي اللي خبطتني يا دادى.

رأت نانسي أمامها طفلاً صغيراً ينظر إليها بعينين عسليتين
غاضبتين وفم مزوم. اتسعت ابتسامتها ومدت كفها تمسّد
شعره البني الناعم الذي كاد يغطي عينيه تكوذة ملساء
لامعة على رأسه.

سمعت ضحكة رجولية خشنة، فرفعت عينها، والتقت
بعيني هشام...

«خطي خطي.. جوه قلبي... وادخلي روحي بسلام...

جرحي جرحك... نبضي نبضك... والكلام نفس
الكلام»

وبعد شهرين...

تم الزفاف.

اندماج الجميع في الرقص؛ فتيات مراهنات تجمعن للرقص بحماسة ومهارة في مباراة حامية الوطيس، شباب يرقصون كافة أشكال الرقص على نفس النغمات، سيدات سمينات ترقصن، فلا تظهر أية تضاريس ولا تفاصيل لرقصهن سوى حركة جلايين المتوية ولمعتها المتكسرة. بالإضافة إلى عشرات الأطفال المجهولين الذين ظهروا من العدم، يرقصون على الأرض وفوق مصطبة الكوشة وعلى المقاعد الخشبية المرصوفة، بل وعلى أذرع الأمهات وفي حجورهن. وقد حمل أغلب أولئك الأطفال في يديه شطيرة أو أكثر يختلسون منها القضمة تلو الأخرى أثناء الرقص.

لم تقو رضا على الاندماج طويلاً مع أصوات الموسيقى والضحك والكلام، فبعد لحظات من جلوسها وتوزيعها للابتسامات الخجلى هنا وهناك، سرحت عينها في الأفق البعيد، واقتر ثغرها عن ابتسامة هادئة، معلنة انفصالها عن الواقع، بينما أخذت الأصوات الصاخبة تخفت من حولها وتنتقل إلى الخلفية في هدوء وسلاسة. استحال المشهد المتحرك حولها، إلى مشهد ساكن، بينما شعرت هي أنها فاتن حمامة تتهادى بفسانها الأبيض وتاجها الماسي الرقيق، في فيلم «سيدة القصر»، بعدما اختارها الشاب الوسيم الثري للزواج...

لطالما كانت رضا أسيرة حاملة للأفلام، وخاصة الأبيض والأسود، والرومانسي منها، تعيش مع كل بطلة منهن حلها الأثير بالزواج من فتى الأحلام.

- منين هيجيكي العَدَل يا حبيتي؟ لا إنتي بنت بارم ديله، ولا إنتي فالحة في التعليم يا حسرة... ده إنتي الكحك ف شهادتك أكثر من كحك صاحجات أم وليد...

كانت هذه عبارة والدتها المفضلة كلما رأت ابنتها هائمة مع بطلات الأفلام القديمة محتضنة قطتها تداعب رقبتها بأناملها في شرود. ذات العبارة مراراً وتكراراً، لا يتغير فيها سوى اسم صاحبة الصاجات على حسب اسم الجارة التي التقت بها مؤخراً. بيد أن طبيعة رضا الحاملة لم تتمكن من صدها تلك العبارات، فأحلام الحب، والأمل الذي كان يملؤها، لم تكن تقوى على تبديده أشد عبارات الأرض إيلاًماً وإحباطاً.

*

مرت الأيام، وبدأ جمال رضا الهادئ يتفتح...

لم تكن جميلة بالمعنى الحرفي للكلمة، لربما وصفتها كلمة مليحة أكثر؛ فوجهها كان مستديراً تماماً وبشرتها صافية تميل إلى البياض، ذات عينين عسليتين واسعتين، وفم أوسع قليلاً من المعهود بشفتين مشدودتين قليلاً باتجاه الوجنتين، وكانت تميزها تلك الحسنة البنية الدقيقة أعلى شفتها. وبرغم أنها كانت تلف رأسها بحجاب بسيط، إلا أن خصلات شعرها الكستنائية الناعمة كانت دائماً ما تنسلل من تحت الحجاب في جراءة وفضول تفتقر إليهما صاحبته. كانت أيضاً ذات قوام جذاب، لم يقلل قصر

قامتها من فنته، ولم تستطع عباءتها السوداء المطرزة مداراة
منحنياته، هذا إن لم تكن أطرته وزادته جاذبية.
وكان ذلك القوام هو ما أدار رأس زيزو...

(4)

هشام

- أهلاً أستاذ هشام... أجهز لك العشاء؟

سألت أم رضا وهي تستقبل هشام على باب الفيلا،
ولكن نانسي طلّت من أعلى السلم قائلة:

- ارتاحي إنتي يا أم رضا، هاجهزهوله أنا.

نزلت نانسي السلم مسرعة فأخذت حقيبة الحاسب
اللوحي من على كتف زوجها ووضعتها على الأريكة
المجاورة للباب ثم احتضنته بشوق قائلة:

- وحشتني..

وقبل أن يجيبها هشام، شعر بذراع صغيرة تحتضن نغذه
وزين يقول:

- حاسبي يا نانسي دادني وحشني أنا كان.

ابتعدت نانسي نحو المطبخ قائلة بضحك:

- طيب يا زين... هسيكم خالص وأروح أجهز الأكل
لبابا.

*

وضعت نانسي صينية الطعام على المنضدة الصغيرة في
غرفة المعيشة وانتظرت حتى ظهر هشام، وبدأ بالأكل.

أصدر صوتاً ينم عن الإعجاب وهو يمضغ الطعام قائلاً:

- حلوة الفراخ دي، جايبينها منين؟

- أنا اللي عملاها بنفسى.

أجابته نانسي بسعادة.

- معقولة؟ حتى الفراخ المشوية بتعملها في البيت؟ تسلم إيدك... ما كنتش أعرف إنك طباحة عظيمة... على كدة أنا واخد بونص، مش بس جمال وشياكة وحب، لا وأكل حلو كان.

تأرحت ابتسامة نجلى على شفتي نانسي، بينما أنهى هشام أكله سريعاً وأمسك بهاتفه المحمول يتفقد أخبار الدوري الإنجليزي ويده الأخرى تتحرك على الأريكة بشكل آلي باحثة عن شيء ما.

- بتدور على ده؟

سألته نانسي وهي تمد إليه جهاز التحكم في التلفاز عن بعد. أخذه منها ولم يكده يضغط على زر حتى باغته زين.

- إيه ده يا حبيبي؟

تساءلت نانسي ضاحكة وهي تراه يحمل مجلداً ضخماً بصعوبة.

- ده ألبوم الصور بتاعنا، دادى وعدنى تنفرج عليه سواء، مش كدة يا دادى؟

ابتسم هشام وترك الهاتف المحمول من يده، واضعاً زين وما يحمله على الأريكة بينه هو ونانسي. فتح زين الألبوم، وأشار لصورة طفل صغير جالس على شاطئ البحر،

- ده إنت يا دادى؟

- صح يا حبيبي... شفتي يا نانسي، زين شبيهي وأنا صغير؟

أمنت نانسي برأسها بينما قلب زين الصفحة سائلاً:

- إنت مين في دول يا دادى؟

أشار هشام بإصبعه قائلاً:

- أنا أهه في النص، ده بيتنا القديم في المنيل.

- إنتم نقلتم من المنيل على هنا على طول، مش كدة؟

سأله نانسي في فضول، مدركة أن زواجهما السريع لم يبح لها معرفة الكثير عن هشام وأسرته.

- لاااا إحنا سبنا المنيل وأنا في ثانوي، كانت الشروق هنا لسة صحرا. نقلنا المعادي الأول، وبعدين جينا الشروق من حوالي عشر سنين. بابا الله يرحمه كان شاري الأرض دي من التسعينيات، لكن ما بدأناش بنبيها إلا بعد ما الشروق عمرت شوية.

قطع كلامه وهو يشير لصورة أخرى قائلاً:

- بص يا زين، دول صحابي القدام من المنيل، ده محمود، وده عبده، وده معتز، وده ياسر... كما بنفضل نلعب كورة

في الشارع بالساعات.

- وتيتا كانت بتسيك تلعب في الشارع؟

- ده كان زمان يا أستاذ.

قلب زين عدة صفحات ثم هتف في سعادة:

- دي صورة فرحكم يا دادى أنت ومامى.

شعرت نانسي بغصة وهي تتأمل زوجة هشام الأولى، امرأة جميلة واثقة من نفسها، ذات نظرة رفيعة الشأن تطل من عينيها. أدرك هشام ما اعترى نانسي من ارتباك، فقربها منه محتضناً كتفها بذراعه في رفق قائلاً:

- إنتي بتغيري واللا إيه؟ هي دلوقت في قارة تانية وبيننا محيطات، هي الماضي، وإنتي الحاضر والمستقبل.

اطمأنت نانسي لكلمات هشام فلانت ملامحها، وانكششت في حضنه وهي تنفض عنها خوفاً مفاجئاً اعترأها. عادت نانسي بذكرتها للقائهم الثاني، حينما حكى لها هشام عن زواجه من ماهيناز، كان قد بلغ أواخر العقد الرابع من عمره بلا زواج، مستكفياً بعمله الناجح في البنك الشهير، وبصحبة والدته الدافئة، زاعماً أنه لم يجد المرأة التي تقنعه بالزواج، ولكن تحت إلحاح والدته الحاجة وفاء، ارتبط بماهيناز، إحدى عميلات البنك المميزات، بهرته بجماها الأخاذ وأناقته الملفتة، ونجاحها في عملها بالبورصة. إلا أنه اكتشف بعد الزواج برودة روحها، وضجرتها من

القيام بأي من واجباتها كزوجة.

تفجرت الخلافات بينهما حينما أعلنت رفضها للإنجاب قبل أربعة سنوات على الأقل حتى لا يتأثر نجاحها المهني، وقد ظل هشام ووالدته يحاولان إنشاءها عن قرارها، حتى حدث الحمل أخيراً بعد انقضاء سنتين من الزواج.

وأقَى زين...

سعادة هشام ووالدته كانت لا توصف، وظن هشام أن مجيء زين سيكون ميلاداً جديداً لحياته الزوجية وعلاقته بماهيناز. ولكنه كان مخطئاً.

فإهمال ماهيناز طال زين أيضاً، وبعد شهر واحد عادت إلى عملها بدوام كامل، واستجلبت مربية مربية شرق آسيوية للعناية بالطفل. أثار هذا الوضع حفيظة هشام ووالدته، التي كانت تعيش معهم في جناح مستقل بالفيلا، فأصبحت هي المستولة عن زين، وقد حاول هشام التفاهم مع ماهيناز كثيراً حول وضع زين، ولكنه فشل. ثم طلبت ماهيناز الطلاق معلنة عدم رغبتها في تحمل مسؤوليات الزواج والأمومة.

وتم الطلاق. كان زين يبلغ من العمر وقتها سنتين.

اختارت ماهيناز الهجرة إلى أمريكا ملبية فرصة عمل لا تعوض، بينما قامت الحاجة وفاء باحتضان زين محاولة تعويضه عن حنان الأم.

ولكن بعد سنة من وقوع الطلاق، فارقت الحاجة وفاء الدنيا، تاركة زين يعاني من فقدان الأم مجددًا، وكان الفقد هذه المرة مزلزلًا، فبدأ زين يعاني من التبول اللا إرادي طيلة الوقت، كما كف عن الكلام تمامًا.

أنت نجاة، أخت هشام المقيمة بكندا، حتى تحاول إصلاح ما أُلْمَ بزين. لم تتمكن نجاة، برغم إقامتها معها لمدة شهرين، أن تخرج زين من انطوائه.

نصحهم طبيب الأطفال المعالج لزين بأن يقصدوا طبيبًا متخصصًا في الأمراض النفسية لدى الأطفال، ورشح لهم أحد المراكز النفسية، مؤكدًا نجاحه في علاج حالات سابقة مثل زين.

قطع زين ذكريات نانسي بهتافه:

- تيتا حبيبي وحشتني.

وأخذ يقبل صورة جدته قبلات متتالية. أخرجت عبارة زين وتصرفه الطفولي نانسي من شرودها، لتأمل صورة الحاجة وفاء... سيدة في أوائل العقد السابع من عمرها، تلتف طرحة ناصعة البياض حول وجهها الطيب بإتقان، بينما أنارت وجهها ابتسامة نقية، وطلت من عيونها طاقة حب وعطاء واضحة، بينما لم تخف تجاعيد وجهها جمالها السابق وشموخ نظرتها.

- الله يرحمها.

تمت بها هشام في خفوت. شعرت نانسي بعمق ارتباطه
بوالدته، كانت تعرف هذا الأمر من قبل، ولكن نظراته
للصورة كانت أبغ من ألف كلمة.

(5)

زیزو

ظلت رضا تحوم حول سوسو أختها قرابة الساعة، تلاعب القطة تارة، وتصطنع قيامها بترتيب الأريكة تارة أخرى، ثم تنفض ذرات تراب وهمية من على المنضدة ورفوف المكتبة، حتى استجمعت أمرها وقالت:

- عارفة زيزو؟

- زيزو! زيزو مين؟

تساءلت سوسو وهي منهمكة في تسليك شعر ابنتها يارا ذات السبعة أعوام.

- زيزو، ابن الحاج محروس.

- يووووه، ماتجيبيليش سيرته، ده من ساعة ما اشترى بيوت الزلزال وبني مكانها البرج بتاعه والشارع بتاعنا ضلّم ومابقاش يشوف شمس. والا مراته اللي صوتها على طول جايب آخر الشارع، ومفيش جارة اترحمت من لسانها.

لم تجد رضا ردًا مناسباً فسكتت وهي تلوي فيها في قلة حيلة. انتبهت سوسو لصمت رضا فحوت رأسها عن ضفيرة ابنتها قائلة:

- ها، ما قلتيش ماله سي زيزو؟ الواد ده فاكر نفسه حلوية ورايح جاي يعاكس في بنات الشارع.

لاحظت سوسو ابتسامة نجلى على شفتي أختها فسألتها
متوجسة:

- اوعي يا بت يكون بيعاكسك إنتي كان؟

أجابتها الابتسامة الحاملة التي ارتسمت على ملامح رضا،
نقبت بكفها على صدرها سائلة بصوت متهدج:

- يبقى بيعاكسك!

ثم استدركت محذرة:

- شوفي يا بت يا رضا، الواد ده لا إحنا من توبه ولا هو
من توبنا، وإن كان يبشاغلك... خليكى إنتي عاقلة وصدييه.
انبرت رضا قائلة:

- صديته كثير والله يا أبله... بس هو آخر مرة قاللي إنه
هيجي يقابل بابا.

- وصدقيه؟ عبيطة والأفلام واكله عقلك... الحنة كلها
عارفة إن أمه حالفة تجوزه بنت أختها، وإنتي عارفة أمه،
ست قوية وشرانية، وماحدث يقدر يقف قصادها...
اعقلي يا رضا وبلاش السكة دي... مش هيجيلك من
وراها غير وجع القلب..

قالتها سوسو وهي تشعر بنغزة في قلبها...

فهل كانت النبوءة؟

*

- إنت اتجننت يا زيزو... والله لما تموت قدامي، مفيش جواز غير من بت خالتك، مش كفاية مش فالخ مع أبوك وواقف طول اليوم ع النواصي!

لم ينتظر زيزو حتى تنهي والدته حديثها، بل خرج مغاضباً وصفق الباب خلفه بشدة اهتزت لها اللوحات القرآنية الضخمة التي تغطي حوائط المنزل.

التفتت أم زيزو لأبيه قائلة:

- يرضيك ابنك يا حاج؟

سألته بلهجة عنيفة وصوت غليظ، وقد احمر وجهها السمين فاستحال كجمرة مشتعلة.

- بالراحة يا حاجة، بالرااااحة... إنتي عارفة زيزو عنيد ومخه على قده... والبت حلوة وميلى دماغه.

- طمعانين فينا يا حاج... وإنّ سيد العارفين.

- ماقلناش حاجة... بس إنتي طريقتك دي هتطفش الواد منا خالص... بالهداوة.

- أهه حلف قدامك ليتجوزها... يرضيك يخرج عن طوعنا؟

- لو وقفنا قصاده... لا بد هيخرج عن طوعنا.

- قصدك إيه يا حاج؟

سألته أم زيزو وهي تحبب بكفها على صدرها مستنكرة،

لترتطم أساورها الذهبية بالسلاسل والسبائك التي تغطي صدرها في صوت مزعج.

- باقولك إيه يا حاجة... إنتي اللي مدلعة ابنك، وإنتي اللي عارفاه، طول عمره يشبط في اللعبة، وبعد كام يوم بيعمل إيه؟ بيرميها... يبقى الحل إيه؟ نطاللاااوعه... ونجوزه البت اللي عاجباه، وإنتي وشطارتك، كلها كام شهر وزهق منها وتجوزيه اللي إنتي عايزاها ويبقوا الاتنين طوع أمرك.

اتسعت عينا أم زيزو واحمرت أرنبه أنفها في غضب وهمت بالكلام. فاستوقفها الحاج بإشارة من يده قائلاً:

- الواد كدة كدة هيتجوزها... نخسر لنا كام ألف جنيه في جوازة كم شهر؟ واللا نخسر الواد وروح منا خالص؟ فكري في كلامي واعقليله... سلامو عليكو.

قالها الحاج وهو يجمع أطراف عباةته حول جسده ويخرج مسرعاً، قبل أن تهب عليه زعايب زوجته العاصفة، وتركها تتميز من الغيظ وسط منزلهم المذهب سقفاً، وأركاناً، وأثاثاً.

*

وقفت رضا في المطبخ تغسل الصحون وهي هائمة في أحلامها، وقد التصق ظهرها بظهر سوسو الواقفة خلفها تقلب الطعام في صبر على الموقد الصغير. شق صوت يارا ابنة سوسو الأجواء وهي تصرخ في إثارة:

- أبله رضا، أبله رضا. زيزو جاي يخطبك.

تصلب جسد رضا وفلت الليفة من بين أصابعها. اتسعت
عيناها وانحبست أنفاسها وهي تستدير ببطء لكي تلتقي
عيناها بعيني سوسو، التي ظلت تطرف بعينها محاولة فك
شفرة الموقف. لاحظت سوسو تعلق نظرات رضا بها،
فدفنت مشاعرها المرتابة في الأعماق وابتسمت لها في
حب مشجعة، فأتسعت ابتسامه رضا بدورها في مزيج من
المنجل والفرحة.

أقبلت أم سوسو من الشرفة على نداء يارا والغسيل المبتل
لا يزال في يديها.

- بتقولي إيه يا بت يا يارا؟ بتقول إيه البت دي؟

سألتهم الأم غير مصدقة وهي تغالب فرحتها. قاطعهم أبو
سوسو وقد اقتحم عليهم وقفتهم قائلاً:

- اعملولنا حاجة نشربها بسرعة، ووطوا صوتكم ما
يصحش كدة.

- حقة الكلام ده يا أبو سوسو؟ الواد زيزو جاي يخطب
رضا؟

رفع الرجل كفيه في الهواء قائلاً في حيرة:

- شكلها كدة يا سامية... أما نشوف!

نظرت سامية إلى حفيدتها يارا قائلة بحماسة:

- اجري يا بت يا يارا هاتي الكوبايات المذهب من تحت
الكنبة بسرعة.

تحركت يارا بينما نظرت الأم لرضا وأردفت غير
مصدقة:

- والله وكان عندك حق يا بت، أهه جالك الواد الحليوة
المترش زي بتوع السيماء.

ثم ضحكت وهي تجبب كتف رضا في سعادة غير عابئة
بالملابس المبتلة في يديها.

اتسعت ابتسامة رضا وهي تراقب زيزو من فرجة باب
غرفة الضيوف الموارب. لم يكن زيزو وسيماً بمقاييس
السينما، بل كان متوسطاً في كل شيء؛ متوسط الطول
والعرض، متوسط لون البشرة، ومتوسط الوسامة. لم يكن
يميزه سوى شعره المفلقل المتروك على سجيته متماشياً مع
طبيعته المرححة اللامبالية.

نظرت رضا نحو سوسو وكأنما تستأذنها في تصديق الحلم
الجميل، بينما شعرت سوسو بأن أمنيات أختها الحاملة
أصبحت مهددة بفقدان براءتها وبريقها، لصالح خشونة
الواقع وقوانينه.

(6)

معتر

جلست نانسي مع هشام في حديقة الأطفال الخاصة بأحد النوادي الرياضية الشهيرة، تراقب زين وهو يلعب مع أقرانه، وتدخل على فترات متباعدة، لتساعده على تسلق هذه اللعبة أو تلك، بينما انشغل هشام بمتابعة الأخبار على هاتفه المحمول. رن الهاتف، فردّ وهو يتحرك بعيداً عن منطقة الأطفال هرباً من الإزعاج. تساءلت نانسي وهي تراقب الملاح المختلفة التي اعترت وجه هشام عن هوية المتحدث. في البداية ظهر على وجهه الاستغراب، ثم اقترب ثغره عن ابتسامة واسعة وأخذ يتحرك في حماسة وهو يسيح بيده مع كلماته، ثم ظهرت ملامح الحزن والتعاطف، وأخيراً أنهى المكالمة وعاد إلى نانسي وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحنين!

- مش هتصديقي مين كان بيكلمني... فاكرة الصور اللي
كنا بنتفرج عليها إمبراح؟

أومأت نانسي برأسها فاستأنف قائلاً:

- صورتني مع صحابي في المنيل كان فيها واحد اسمه معتر،
أهه هو ده... بقالنا سنين ماتكلمناش، أصله سافر يشتغل
في السعودية بقاله كذا سنة... بس هو دلوقت في أجازة
هنا في مصر... مامته اتوفت من كام شهر وما عرفش ينزل

أجازة ساعتها، الكفيل منه لله عصلج معاه. لو كنت
عرفت كنت رحت عزيت معتزة أخته على الأقل. وغالباً
نجاهة أختي برضه ماعرفتش وإلا كانت قالتلي، أصلها
صاحبها من ساعة جيرة المنيل.

ابتسمت نانسي ابتسامة باهتة وقد بدا عليها الشرود.

- هيه رحتي فين؟

- ولا حاجة... بأبص على زين... إنت عارفه ممكن في
لحظة يخنفي.

قالتها ثم أتبعته عبارتها بالقيام للبحث عنه.

تأملها هشام في حب وهو يحسد نفسه عليها، لقد ابتسم
له القدر وعوضه بالزوجة المتفانية، كما عوض زين بأمة محبة
رؤوم.

- الله يرحمك يا أمي، لو شفيتنا أنا وزين دلوقت كنتي
هتبقيني مبسوطة قوي.

تمتم بها هشام لنفسه في خفوت...

عادت نانسي للجلوس بجواره مجدداً فاستأنف الحديث
معها:

- بافكر أعزم معتز على الغدا... تفتكري أعزمه هو بس في
أي مطعم برة؟ واللا...

قاطعته نانسي قائلة بحماسة:

- مطعم إيه! في البيت طبعاً... وهاعملكم عزومة تشرف.
انفرجت أسارير هشام وهو يراقب ترحاب نانسي
بالفكرة.

- قول لي بس كام فرد وسيبلي الموضوع ده خالص.
- معتز ومراته، ومش فاكر الصراحة عنده طفلين واللا
ثلاثة، هابقي أسأله.

- مفيش داعي تسأله... أكيد هاعمل بزيادة.
قالتها نانسي وهي تهتم بالجرى وراء زين وقد ظهر عليها
حماس متقد أرضى هشام وأسعده.

*

- إيه رأيك في السمك؟
فاجأت نانسي هشام بسؤالها وهو مستغرق في متابعة
مباراة فريق ليغربول وتشيلسي، فحول وجهه عن شاشة
التلفاز بصعوبة ناظراً إليها في عدم فهم...

- سمك؟ إحنا أكلنا سمك النهاردة؟
- لا يا حبيبي، أنا باتكلم على عزومة صاحبك، تحب
نخليها عزومة سمك؟

- زي ما تشوفي يا حبيبي.
أجابها هشام باقتضاب وهو يحاول متابعة المباراة، ولكن
نانسي عاجلته بسؤالها:

- طب نجيب أنواع إيه؟

- هه؟

- إنت مش مركز معايا خالص.

قالتها نانسي مقطبة جبينها في إحباط.

- آآآ.. معلش.. ممكن نتكلم بعد الماتش؟

- طيب.

قالتها نانسي في استسلام ومدت يدها نحو مفكرتها الصغيرة تدون فيها بضع كلمات، ثم ترنو متفكرة للحظات، ثم تكتب مجدداً...

- خلاااص كله تمام.

هتفت بها نانسي بحماسة أفزعت هشام الذي كان يتابع هجمة مرتدة لفريق ليفربول...

- خير؟

سألها هشام بانزعاج، وقبل أن تجيبه، صدح صوت المعلق:

- هدف هدف هدف يسدده صلااااااااااا... الفرعون الصغير... مو صلااااااااااا...

- خلاص حددت الأصناف كلها، وإنت هيبقى عليك...

قطعت نانسي عبارتها وهي لا تفهم سر نظرة الغيظ
والغضب التي اشتعلت في عيني زوجها.

*

مرت أيام الأسبوع سريعاً، ونانسي تضع تفاصيل مأدبة
السّمك المرتقبة محاولة إشراك هشام في التفاصيل، وهو
يتابعها باهتمام مرة وبضجر مرات، حتى فاجأته على
العشاء بقولها:

- إيه رأيك نقدم الأكل على الطريقة الإنجليزية؟

- يعني إيه؟

- نأجر شيف يبقى مسئول عن السرفيس وتقديم الأكل
للناس، إحنا كذا بنعمل كدة في عزومات الشركة.

- متيألي مش مستاهلة يا نانسي كفاية إتنا...

قاطعته نانسي قائلة في اندفاع:

- لا مش كفاية...

ضحك هشام، فضحكت هي الأخرى وهي تفسر:

- لو حطينا الأكل كله على السفرة من الأول فيه
حاجات هتبرد، وبعدين الإيتيكيت بيقول فيه حاجات
لازم نتقدم قبل حاجات..

ابتسم هشام للحماسة والاهتمام البادين على زوجته وكره
أن يصدّها.

- طيب.. زي ما تشوفي...

قالها هشام باستسلام وهو يهم بضغط زر تشغيل التلفاز ولكنها عاجلته قائلة بصوت ناعم به نبرة تؤسّل توجّس لها:

- هشام... ممكن تروح السويس يوم الجمعة بدري تجيب السمك من سوق الأربعين؟؟

- إيه؟ إيه؟ ما البلد حوالينا مليانة بتوع سمك.

- مش معقولة التعب ده كله وبعدين في الآخر العزومة تبوظ علشان السمك مش طازة... ده السويس يا حبيبي ساعة ونص من الشروق... وهاقولك على الأصناف اللي عايزاها... وإيه اللي تسويه هناك... وإيه اللي تجيبه ني أسويه هنا.

نظر إليها هشام، وللمرة الثانية لم يستطع صد الحماسة البادية على وجهها، فقال بنبرة متساحمة:

- حاضر يا حبيبي.. أنا عينيا ليكي.

(7)

بحقبة ملابسها!

- معقولة ابن الحاج محروس، يعمل فرحه ع السطح!
تسلت هذه العبارة من فم إحدى الجارات عبر أذن
رضا إلى رأسها، فبددت هالة الأحلام والذكريات التي
هامت معها، وأعادتها إلى واقع الفرح...
لم تأبه رضا كثيراً بما قالته الجارة، خاصة وقد عبرت
سوسو عن هذا المعنى من قبل وهي تستعجب من سرعة
الزواج، والاقتصاد في تكاليفه من قبل أهل العريس
الأغنياء.

- إحنا عايزين العروسة بشنطة هدومها.

هذا ما قاله الحاج محروس عندما أتى طالباً يد رضا لابنه
زوزو. أخبرهم حينها أن شقة الزوجية جاهزة، فقد اختار
لهم الشقة الصغيرة الواقعة في الدور الأرضي من البرج
الذي يمتلكه في شارعهم، وأثبها سريعاً بالضروريات واعدأ
إياهم بالانتقال إلى شقة أكبر في أحد الأدوار العليا بعد
إتمام تشطيبها وتأثيثها بما يليق. لم يخف على أحد أن تلك
الترتيبات توافقت مع ظروف الأستاذ محمد المالية، إذ إنه،
وبرغم تزويجه ابنته الكبرى منذ أكثر من ثماني سنوات،
إلا أنه لم يتمكن من ادخار مبلغ مالي مناسب لتجهيز ابنته
الصغرى، خاصة في ظل الغلاء والظروف المعيشية

الصعبة. وعليه، تقرر تجاهل كل التعليقات السلبية التي
قيت في هذا الصدد، ومنها ما قالته عمه العروس تعقيباً
على تلك المسألة، إذ قالت لأما سامية:

- خدوها بشنطة هدومها علشان لما يرموها يا حبيتي،
يرموها بشنطة هدومها... باينة.

اتفقوا جميعاً أن كلام العمه لا يعدو كونه تعليقاً جافاً،
وبعيداً عن الواقع في ظل جنون زيزو برضا وتمسكه بها.

إلا سوسو!

خفق قلبها في قلق وخشيت أن يكون تعليق العمه
كاشفاً، فهل كان؟

*

حاولت سوسو مصارحة أختها بخاوفها فردت عليها بجدة
نادراً ما كانت تكتنفها:

- مالك يا أبله؟ إنتي مش عايزاني أفرح واللا إيه؟

- بالأصول يا رضا... عايزاكي تفرحي بس بالأصول...
نجهز ونكتب قائمة، ونفرش زي الناس، والشارع كله
يشهد فرشك وجهازك.

- على كدة هاستني كالم سنة على بال ما بابا يجهزني؟

- ما تستني، فيها إيه، ده إنتي يا دوبك تمتاشر سنة، أهه
على الأقل علشان يعرفوا إنك عزيزة. مانا استنيت أربع

سنين يا رضا علشان أتجوز ناصر.

- طب وأنا ذنبي إيه... هو علشان أبو يارا ما كانش معاه
يجهز يبقى لازم أستنى زيك؟ والا هو تحكّم وخلاص؟

قذفت رضا عبارتها في وجه أختها بغضب كطفلة
يسلبونها دميتها.

- تحكّم!! ماشي يا رضا... بكرة تعرفي... وعموماً كلامي لا
هيقدم ولا هياخر، أبوكي وأمك موافقين... وأنا هاسكت
خالص... أهه.

قالتها سوسو وهي تضع كفها على فها، بينما نظرت لها
رضا في وجوم ولم تعقب...

(8)

الاستعدادات الأخيرة

عاقاقاق عاقاقاق عاقاقاقاقاقاقاقاق

أوقف هشام سيارته وسط أسراب الغربان المنتشرة في شوارع مدينة السويس. انقبض قلبه لتعيقها، وراوده شعور بالتطير ملك عليه حواسه للحظات، فحاول دفعه قائلًا لنفسه:

- هيحصل إيه يعني؟ ربنا معانا.

خرج من سيارته وأحكم غلقها باحثًا بنظره عن مدخل سوق الأربعين، غير مصدق أنه أتى كل هذه المسافة لكي يبتاع سمكًا!

أخرج هاتفه المحمول يراجع القائمة قبل الشراء:

- 2 كيلو سمك شعور - التسوية سنجاري.
- 2 كيلو سمك ناجل - يقطع جزل - بدون تسوية.
- 2 ك جمبري جامبو- بدون تسوية.
- 1 كيلو جمبري وسط- بدون تسوية.
- 1 كيلو جمبري وسط - التسوية طاجن في الفرن.
- 1 كيلو سبيط.
- 2 كيلو كابوريا.

- نصف كيلو فواكه بحر مشكلة.

تذكر هشام حديثه الليلة السابقة مع نانسي،

- طالما هاروح السويس كدة كدة، ما نجيب كله
مستوي من هناك وخلاص وريحي إنتي نفسك.

- لا طبعا يا حبيبي ماينفعش. الحاجات اللي هتقتلي
لازم نتقلي قبل الأكل على طول علشان تبقى كرانشي،
وبرضه الشوربة، مش هيعرفوا يظبطوها زي.

- الجمبري الجامبو ده هتقليه؟

- لاااا... ده هيكون مفاجأة السفارة.. جمبري على
الطريقة التايلاندية إنما إيه.. هتاكل صوابك وراه.

- ريتي جري من دلوقتي...

قالها هشام ضاحكاً وهو يدون المطلوب على هاتفه.

*

- عنك يا أستاذ هشام.

قالتها أم رضا وهي تساعد هشام في حمل أكياس السمك
والجمبري التي انبعثت منها روائح متناقضة. مزيج من رائحة
السمك السنجاري المتبل المسيلة للعاب، ورائحة الزفارة
المميزة للأسماك النيئة عبقت الأجواء.

دخل هشام المطبخ نفوراً بإنجازته للمهمة في وقت
قياسي، ولكنه وجد وجه نانسي الذي اعتاد هدوءه ودعته

مربدأ، يشي بمصيبة قد حدثت!

وقع مرآها في روع هشام فاقرب منها سائلاً:

- مالك يا حبيتي؟

أجابته نانسي وهي شبه منهارة:

- الراجل اللي اتفتت معاه اعتذر على آخر لحظة.

- راجل! راجل مين؟

- الشيف اللي كان هيقدم الأكل.

- ياااه...

هتف بها هشام وهو يتنفس الصعداء بشكل لا إرادي،
ثم أردف قائلاً:

- بسيطة يا حبيتي، أم رضا هي اللي تقدم الأطباق.

أجابته في يأس:

- ماينفعش يا هشام، أم رضا ماتعرفش إيتيكيت
التقديم، ومفيش وقت أعلها... الموضوع مش سهل...

عقد هشام حاجبيه يحاول إيجاد بديل بيدد حالة التوتر
المفاجئة التي خيمت على الأجواء:

- مفيش حد تاني نكله؟ أو ممكن نلغي فكرة النظام
الإنجليزي ده خالص، ونحط الأكل كله على السفرة وكل
واحد يغرف لنفسه...

زمت نانسي فيها مجيبة بنبرة محبطة:

- لا طبعاً، خسارة، أنا أصلاً مختارة الأصناف على الأساس ده.

صمتت لحظة ثم تنهدت قائلة:

- خلاص.. هاقدام أنا.

تردد هشام، هل يجارياها أم يقترح حلولاً أخرى، أثار صمتها فضوله وهو يتأمل وجهها الجميل وقد تسلل إليه الهدوء من جديد وهي تقول:

- ماتقلقش... هاتصرف... الشوربة والأورديفر هم اللي محتاجين تقديم، باقي الحاجات أم رضا ترصها على السفرة، آسفة إني قلقتك... أصله كان لسة متصل قبل ما تدخل على طول وحسيت بالدربةكة، شكراً يا حبيبي.

قالتها ثم طبعت على وجنته قبلة خفيفة قبل أن تبدأ بفتح الأكياس ومعاينة ما أتى به هشام مطلقاً عبارات الاستحسان، وكأنما لم تكن على وشك الانهيار منذ دقائق.

انفرجت أسارير هشام وانفكت عقدة حاجبيه وهو يراقب انخراط نانسي مجدداً بأعمال الطهي في سكينتها المعتادة، فهو الذي يقدر الاستقرار والهدوء، كان أهم ما جذبته في نانسي دعوتها واستكانتها. شعر معها أخيراً بمفهوم الزواج كسكن بعد عواصف زوجته الأولى وزعايبها الدائمة.

مرت بضع ساعات حتى حان وقت وصول الضيوف.
 دوى صوت جرس الباب، فجرى زين نحوه مسرعاً
 بينما نظر هشام إلى نانسي التي أقبلت من على السلم
 في أبهى زينتها، ترتدي بلوزة بيضاء قصيرة الأكمام،
 مزينة بالدانتيل، وتورة واسعة مزركشة بالورود الوردية
 والبنفسجية، مع حزام بنفسجي عريض التف حول
 وسطها وأطرها، وقد ظلت جفونها باللون البنفسجي ليزداد
 لون عينيها الزمردى عمقاً، بينما طَلَّتْ شفيتها بطلاء وردي
 رقيق، وارتدت قرطاً صغيراً من اللؤلؤ، وتركت شعرها
 الذهبي منسدلاً على وجهها في رقة، فغطى القسم الأكبر
 من ملامحها ليضفي على الظاهر منها غموضاً وجاذبية.

فتح هشام الباب وظهر معتز، ومن ورائه أسرته،
 وانهالت من في الرجلين عبارات الترحيب مع تربيئات
 عنيفة على الأكف، وإن تجلّت صعوبتها بسبب فرق
 الطول الواضح بينهما. والناظر لمعتز يشعر أنه نسخة عكسية
 من هشام؛ جسد ممتلئ يميل إلى القصر، يتدلى منه كرش
 منتفخ، ووجه مستدير، يزينه شارب رفيع منمق، ويعلو
 رأسه شعر خشن قصير، يثني سواده الحالك بتدخل يد
 البشر للحفاظ عليه من الشيب...

وفي الملبس، تناقضت أناقة هشام الرياضية العصرية مع
 قيص معتز الواسع ذي الأكمام القصيرة والمزركش

بأوراق شجر متداخلة الألوان.

انتبه هشام لوقوف الزوجتين بلا تعريف، نخطا خطوة جانبية قائلاً:

- نانسي مراتي.

تجلت على الفور نظرات الإعجاب في عيني معترز فهتف:

- أهلاً وسهلاً.

بلهجة ممطوطة ونظرة متفحصة، جعلت عبارته أقرب لقول: «يا أرض اتهدي ما عليكي قدي»!

بينما تفحصت زوجة معترز نانسي من أعلى رأسها إلى أحمص قدميها بنظرات المرأة التي اعتادت زيغ بصر زوجها، فأصبحت تقيم كل أنثى تراها باعتبارها غريمة محتملة!

انتبه معترز لنظرات زوجته التقييمية فقال من فوره:

- ولاء... مراتي.

رحبت بها نانسي فردت عليها ولاء قائلة بصوت غليظ:

- أهلاً يا مدام.

جفلت نانسي للحظة أمام يد ولاء الممدودة للمصافحة فوكرها هشام منبهاً، استجابت له وصاقتها، بينما أردف معترز قائلاً:

- ولادي: شهد، وحمادة.

- شهد بنتك الكبيرة؟ متيألي كان عندك حد أكبر؟

انبرت ولاء مجيبة بصوتها الغليظ:

- قصدك ميادة، ما شاء الله بقت طولي، بس ما جاتش
معانا.. قاعدة مع معتزة.

أردف معتز موضحاً:

- ما انت عارف، معتزة ما خلفتش، وروحها في
عيالي..

انتبه هشام لوقوفهم على الباب فاستدرك قائلاً:

- اتفضلوا اتفضلوا.

وتحرك أمامهم باتجاه غرفة الاستقبال. تبعوه جميعاً في
صمت، لم يقطعه سوى تعليق همست به شهد بصوت
خافت:

- شبه الشغالة اللي كانت عند ستي.

- مين.. أنا؟

سألها نانسي بابتسامة خفيفة، فانبرى معتز من فوره
قائلاً:

- لأ طبعاً، إنتي إيه، هي ما عندهاش نظر، أكيد
تقصدها.

مشيراً لأم رضا الواقعة على مقربة وهو ينظر لشهد نظرة

ذات مغزى فأومات برأسها في نجل.

ابتسم هشام لشهد قائلاً:

- لا.. صعب، أم رضا بقالها معنا أكثر من خمستاشر سنة.

- أصعب حاجة في الزمن ده الواحد يلاقي شغالة كويسة، حماتي الله يرحمها طلعت عينها والله، كل شهر شغالة شكل...

قالتها ولاء وهي تجلس لتحتل بجسدها الضخم ثلثي الأريكة، بينما احتلت ترددات صوتها الرنان فراغ المكان كله، بالتبادل مع رنين المصوغات الذهبية العديدة التي ازدان بها جيدها وذراعاها... كان ذهباً شديد الصفار يثني بأنه وارد الخليج، وقد ظهرت من طرحتها الملتفة حول وجهها غرة برتقالية، تناقض لونها الفاقع مع ألوان مستحضرات التجميل التي أسرفت في استخدامها حتى احتارت نانسي في تخمين ملامحها الحقيقية أو لون بشرتها، والذي ميزت لاحقاً أنه أبيض بالنظر إلى أصابعها البضة المزينة بمزيد من الذهب.

شعرت نانسي بثقل في الأجواء، فحولت بصرها سريعاً نحو الأطفال، اختيارها المفضل من البشر. كانت شهد في حدود الثانية عشرة من العمر، تجلس صامتة، بينما تدور عينها بسرعة في كافة الاتجاهات بشكل مشتت لمن يحاول متابعتها، أما حمادة فقدرت أنه من عمر زين. لاحظت

نانسي أن له ملاح مميزة، ونحنت أنها ملاح متلازمة داون، فشعرت نحوه بحب أكبر، ونادت زين قائلة:

- زين، إنت فين؟ تعالى سلم على الضيوف.

قفز زين من وراء أحد المقاعد وهو يصيح حاملاً بيده سيفاً وعلى وجهه قناع مخيف. لاحظت نانسي كيف جفل حمادة وانكمش فقامت نحو زين وخلعت عنه القناع بهدوء وأخذت منه السيف وسحبته من يده بلطف نحو حمادة، الذي ازداد انكماشاً وقد اتسعت عيناه في قلق.

- حمادة، ده زين... ودول لعبه، ممكن يلعب بيهم يا زين؟

نقل حمادة عينيه بين زين ونانسي والسيف للحظات، وهم بمد يده نحو السيف، حينما انطلق صوت والدته قائلة بلا مبالاة:

- سيك منه مش هيفهمك.

أعاد حمادة يده إلى جانبه في هدوء، بينما وقف زين بجواره محتاراً.

لاحظ هشام انشغال نانسي بالأطفال فنادى قائلاً:

- أم رضا... مايجي تاخدي الولاد يلعبوا في الجينة شوية لحد ما نيحي ناكل.

قامت شهد من فورها تنظر حولها في فضول باحثة عن باب الحديقة، فأشارت لها أم رضا إلى جهة اليسار وهي

تسحب الولدين بلطف.

جلست نانسي وهي تتابع الأطفال بعينها، فلم تنتبه للأشعة التشخيصية المسلطة عليها لتفحصها، أشعة من الجنسين. انتهزت فرصة انشغال أم رضا مع الأطفال وقامت لإحضار بعض المشروبات الترحيبية، مرت من أمام معتز فسمعته يهمس لزوجها:

- والله فيها شبه منها.

وحينما عادت من المطبخ حاملة المشروبات سمعت معتز يجيب على سؤال يبدو أن هشام قد سأله:

- ما عرفش عنها حاجة من ساعة ما اتجوزت ابن عمها وسافرت معاه.. عشرين سنة عدوا.. تصدق.. ولا حتى معتزة شافتها من ساعتها.

علا صوته في الكلمات الأخيرة من عبارته دون أن ينتبه، فعاجلته زوجته بسؤاله:

- تقصد مين؟

انتظرت نانسي الرد في فضول، ولكن أراد هشام أن يبدد حرج صديقه فبادر بأخذ الصينية من يدها قائلاً:

- عنك يا حبيبتى.

ثم مد يده بالصينية نحو ولاء التي أخذت منه كأسها وهي لا تزال ترمق زوجها بحدة، بينما ابتسم معتز مدركاً أنه قد نجا من لسانها هذه المرة.



(9)

الأيام الحلوة

مرّت سويغات الفرح بإسلام وانتقلت رضا إلى عشها الجديد متوجة بأحلامها الوردية مع زوجها زيزو المبهور بأنوئتها التي تفتّحت على يديه.

مضت أيامهما على نحو هادئ، اعتادت رضا رتابته بل وأحبّتها.

تصحو قبل الظهر لترتب المنزل سريعاً ثم تجلس أمام التلفاز تشاهد أفلامها المفضلة حتى يقترب موعد صلاة العصر، فتقوم بإعداد وجبة الإفطار لزيزو وتوقظه ليتناول فطوره في نهم، ثم ينفرد بها لعدة ساعات في غرفة النوم. حتى يحين موعد العشاء. كان زيزو يرفض أن تطهو له رضا وجبة الغداء في البيت، فقد كان يلذ له أن يصطحبها يوماً إلى مطعم مشويات شهير بالمنطقة يأكلون فيه الكباب المشوي، وجبته المفضلة. ثم يجلس هو بالشاي الزردة، ثم بالشيشة، وهي جالسة بجواره تتأمل الناس على صوت كركرة الشيشة الرتيب.

بعد صلاة العشاء، يقوم زيزو بإيصالها إلى المنزل ثم يخرج ثانية ليلتقي بأصحابه على القهوة ولا يعود إلا الفجر، فيلقي بجسده على الفراش نائماً حتى عصر اليوم التالي.

وهكذا دواليك...

مثل هذا الروتين أماناً واستقراراً تناسباً مع شخصية رضا البسيطة.

لم يكن ينغص عليها أوقاتها سوى زيارات أبي ززو وأمه النكدة، ولم يكن يهون عليها سخافاتهما سوى زيارات سوسو لها.

*

- الله يا بت يا رضا... إنتي عملتي إيه في الشقة؟

كادت رضا تقفز من السعادة بتعليق سوسو التي أخذت تتلفت حولها، محاولة رصد التغييرات بعينها.

- بجد يا أبله؟ إنتي شفتي مسلسل مدام يسرا الجديد؟
قعدت أتفرج ع الحاجات اللي محلية الشقة وطلبت من ززو فلوس وجبت بيها الزرع والورد الصناعي دول، وكان جبت الستائر البهي أم وردة دي والمفارش المخرمة للترايزات وإيدن الكنب.

- اللهم صل ع النبي يا رضا، والله ونفعتك فرجتك ع التليفزيون يا بت.

- أو مال حماتي كل ما تيجي تنكد عليا ليه؟ دي قالتلي إن زوقي وحش، وإني مابفهمش، وإن الشقة بقت عاملة زي الغيط.

- يووو... هي الولية حماتك دي مش هتبطل!

- كل كام يوم تيجي وتفضل تدينني من المنقي خيار.

إمبارح قالتلي إنهم سايبين زيزو يتسلى بيا كم شهر لحد ما
يزهق مني ويرميني.

امتقع وجه سوسو. لاحظت تفرس رضا في وجهها
بانتظار ردها فاغتصبت ابتسامة سريعة. ابتسامة جاءت
متأخرة إذ سألتها رضا في قلق:

- إيه؟ تفتكري زيزو يعمل فيا كدة؟

- لا يا حبيبي ما فتكرش.. اطمني.

قالتها سوسو وهي تربت بكفها على كتف أختها، ثم على
بطنها سائلة بابتسامة ذات مغزى:

- إيه.. مفيش حاجة جاية في السكة؟

استجابت رضا لتغيير الموضوع في براءة، وأجابتها بابتسامة
نجلى:

- لسة...

- وأخبار الحاج محروس معاكي إيه؟

- مالوش دعوة بيا، كل كام يوم يجي ياخذ زيزو ويقفل
عليهم الأوضة وأسمعه بيزعق معاه علشان الشغل، أصل
إنتي عارفة شغل الخردة ده عايز حد واقف عليه، وزيزو
الصراحة ماينزلش الورشة غير فين وفين... مايقدرش
يبعد عني.

قالتها همساً بوجنتين موردين وضحكة نجلى. ابتسمت

سوسو وهي تدس عميقًا بجوفها ما ألم بها من توجس.

*

فتحت سامية الباب لتجد زوجها واقفًا أمامه يلهث،

- إيه يا راجل! مش معاك مفتاح؟

غالب لهائه من أثر السلم قائلاً:

- مبروك يا سامية، رضا حامل...

تهلل وجه سامية وهي تهتف بصوت متهدج ونبرة متوسلة:

- قول والنبي يا راجل.

ثم قبل أن يحلف لها، رفعت عقيرتها بالنداء:

- بت يا سوسو زغرطي، رضا حامل...!

- طب قعديني الأول وخدي مني البطيخة.

هتف بها زوجها وهو يتهاك على الكرسي الخشبي بجوار الباب. حملت عنه هي البطيخة وهي تسأله:

- عرفت منين؟

- زيزو كلمني في الشغل وبلغني.. الفرحة مش سايعاه.

- أحمدك يا رب.. أهه كدة البت ثبتت أقدامها واطمأنا

عليها... مش كدة يا سوسو؟

- كدة يا ماما.. كده إن شاء الله...

عقبت سوسو في خفوت وهي تـرجو أن تكون أمها محقة.

(10)

المأدبة

- اتفضلوا... السفرة جاهزة.

قالتها أم رضا وهي تمسح يديها بمريلة المطبخ القطنية. تقدم هشام ضيوفه نحو غرفة الطعام، وأجلست نانسي الأطفال في الأماكن التي أعدتها لهم حول طاولة الطعام الكبيرة، بينما جلس هشام على رأس الطاولة وعلى يمينه معتز وزوجته بجواره.

تصاعدت رائحة السمك المقلي، ممزوجة برائحة الثوم والكمون وعبير الليمون الطازج في سيمفونية عظيمة من الروائح، سيمفونية مخصصة للأنف أولاً، ثم تستمع بها الأذن لاحقاً، عندما تتعالى أصوات «الكرانش» و«الهمممم» و«اليممم» قبل أن يكون للمعدة النصيب الأكبر من المتعة ومنها نفاذاً إلى الروح.

خرجت نانسي من المطبخ تحمل صحناً عميقاً من الفخار الصيني الفاخر يتصاعد منه البخار، وبدأت تصب منه الحساء في الأطباق. ومع الملاعق الأولى، انهالت عبارات الاستحسان على نانسي حتى احمر وجهها نجلاً، فأسرعت إلى المطبخ وعادت تحمل طبق تقديم فضي كبير ذا حواف مزخرفة، تتوسطه أسياخ خشبية في كل منها حبة جمبري ضخمة.

بواسطة ماسكة مشغولة بالفضة تنتمي لأدوات مائدة
الحاجة وفاء الفضية، وضعت نانسي في كل طبق من
أطباق ضيوفها عدة أسياخ من الجبري، قائلة:

- دي وصفة تايلاندية، يا رب تعجبكم.

أمسك معزز بأحد الأسياخ يتأمله،

- اللهم صل على النبي، صدق اللي قال: العين بتاكل قبل
الفم.

ثم قضم منه قضمة،

- مرز على مسكر على حامي. إيه الحلاوة دي.. تسلم
إيديكي يا مدام.

عاجلته ولاء قائلة:

- من إمتي وانت بتاكل الحامي؟ مش بتقول بيتبعك؟

ضحك معزز وهو يقول في خبث:

- حامي عن حامي يفرق.

وضعت نانسي الجبري في أطباق الأطفال دون أسياخ.
نقل حمادة ناظره بين طبقه وطبق أبيه ثم قام واتجه نحوه
ماداً رأسه في فضول.

- عايز تدوق؟

سأله معزز وحينما أوما برأسه قرب له أحد الأسياخ من
فه، علقت نانسي:

- لا إستنى .. هيبقى حراق عليه.

ثم نادى على أم رضا كي تأتىها بأسيخ خشبية، أمسكت بأحدها وشبكت فيه قطعة من الجمبري وقربتها من حمادة في حنان تخبره أنها تماثل ما لدى أبيه سوى أنها ليست حارة. ابتسم وأخذ منها السيخ وبدأ يأكل منه في سعادة. رمقت شهد أخاها بطرف عينيها ثم أبعدت طبقها بيدها في صمت. فهمت نانسي حركتها الاعتراضية فوضعت لها هي الأخرى الجمبري في أسيخ.

عادت نانسي إلى مقعدها وأم رضا ترص أطباق الأسماك المختلفة على الطاولة بين أطباق السلطة والخبز المترصة مسبقاً.

أكل الجميع بنهم.. حتى الأطفال.. حتى ولاء المتحفزة.. أقرت بالطعم المميز لصنف أو صنفين وسألت نانسي عن طريقة طهي الحساء.

- شاي ثقيل لو أمكن.

قالها معتر وهو يشير لأم رضا بإصبعي الإبهام والسبابة كناية عن كوب صغير ثم تمطع بأريحية ماداً يديه وقدميه في الهواء، قبل أن يقوم من على كرسي المائدة ويتبع هشام إلى دورة المياه.

وقفت ولاء تتأمل بهو الفيلا الواسع والسلم الدائري الذي يتوسطه، ثم قالت:

- الفيلا كبيرة وحلوة والله..

- حمايا الله يرحمه هو اللي صممها وبنائها.

- والعفش ده ذوقك إنتي؟

سألتها ولاء وهي نتفحص قطع الأثاث الفاخر المتناثرة
في أركان البهو.

نظرت نانسي إلى هشام الذي قال في سرعة:

- ذوق ماما الله يرحمها الله.

- إيه رأيك يا معتز نبني إحنا برضه بدل ما نشترى؟ أصل

الفلل في الكومباوندات صغيرة قوي عن كدة.

- إن شاء الله.

أجابها معتز بفتور وهو يسلك أسنانه بخلة خشبية صغيرة،

ثم سأل هشام:

- أخبار شقة المنيل القديمة إيه؟

- سبناها لصاحب العمارة من زمان، ما انت عارف

كانت إيجار قديم... وإنتم؟ عملتم فيها إيه؟

- أبويا الله يرحمه اشتراها من صاحب البيت وعملها

مخزن، مريضيش يفرط فيها أبداً، كان دائماً يقول دي

أغلى شقة عندي.

- بس ماتقولش شقة.

علقت ولاء ضاحكة في استخفاف، فامتعض وجه معتز ولم يعقب.

دوى رنين خافت، فتلقت الجمع حولهم باحثين عن هواتفهم، حتى أخرجت ولاء هاتفها من حقيبتها فنظرت إليه ثم قالت:

- دي أختي.. أكيد بتتصل علشان ترتب سفرية الساحل.. عن إذناكم.

قالتا وهي تبتعد نحو الحديقة. فاستأذنت نانسي هي الأخرى وتوجهت إلى المطبخ بينما انخرط هشام مع معتز في حديث هامس تتخلله الضحكات.

انشغلت نانسي بتفريغ الحلوى من عليها في الأطباق بينما وقفت أم رضا بجوارها تغسل الصحون. تعالى صوت ولاء مجلبلاً فاستتجت نانسي أنها أنهت مكالمتها وانخرطت في الحديث مع الرجال. لم تسمع نانسي ما يقال بوضوح، ولكنها استتجت أن الحديث يدور حول والدة معتز المتوفاة حديثاً.

- أنا قتلهم أكيد الشغالة، أصل مين غيرها؟

وقع كأس زجاجي كانت أم رضا تناوله لنانسي. جفلت نانسي والتقت عيناها بعيني أم رضا.

تساءل صوت هشام من الخارج:

- خير يا نانسي..؟

- ما تفلقش.. حاجة بسيطة.

أطرقت أم رضا قائلةً بخجل:

- آسفة يا مدام يظهر ما شطفتش إيدي كويس من الصابون.

طيبت نانسي خاطرها قائلة:

- ولا يهملك يا أم رضا، ده أنا اللي ممسكتوش كويس.

خرجت نانسي إلى الضيوف بأطباق الحلوى وفناجين الشاي التي هجم عليها معتز وارتشف رشفة طويلة قبل أن يعقب:

- حتى الشاي بتاعكم له طعم تاني.. تسلم إيديكي.

قالها متجاهلاً نظرات زوجته الزاجرة، بينما ابتسم هشام لنانسي ابتسامة امتنان جانبية، أدفأت قلبها وبددت متاعب اليوم وسخافات.

حديث المساء

جلست نانسي على كرسي التسريحة تصفف شعرها
وبجوارها استلقى هشام على الفراش ممسكاً بوحدة التحكم
بالتلفاز باحثاً عن قناته الرياضية المفضلة فانبعث من التلفاز
صوت كرتوني مضحك.

- هو مفيش مرة أفتح التلفزيون وألاقي القناة بتاعتي؟
على طول كدة يا كرتون يا طبخ!

قالها هشام مداعباً فأجابته نانسي بابتسامة:

- ما انت عارف.. زين ما يحلالوش الفرجة ع الكرتون
غير هنا، ما قتلش... إيه رأيك في الأكل النهاردة؟؟

- وده سؤال؟ الأكل كان عظيم، أجمل أكلة سمك في
حياتي، والجمبري التايلاندي ده كان هايل.. أنا حبيت
قنوات الطبخ بتاعتك.

اتسعت ابتسامة نانسي، فأردف هشام قائلاً:

- تعبناكي النهاردة يا حبيبي، إنتي تقريبا ماقعدتيش
معانا، ما حبيتهموش واللا إيه؟

- لا أبداً، هو موضوع الشيف اللي ماجاش ده نلحظ
الدنيا، وبعدين ما إنت عارف إني مش بأخدع الناس
بسرعة.

قالتا بنبرة نجلى فنحها هشام ابتسامة متفهمة، ثم حول وجهه عنها وبدأ يتابع أحداث المباراة الكروية الدائرة على التلفاز، وانصرفت هي إلى دهاناتها المرطبة المرصوصة على صفحة التسريحة، تدهن كلاً منها في الموضع المناسب له من بشرتها، ثم هتفت فجأة وكأنما تذكرت شيئاً:

- هشام... هي ليه ولاء قالت على شقة المنيل بتاعة معتز «بس ماتقولش شقة»؟ أومال هي كانت إيه؟

اخترق صوت نانسي أفكار هشام الذي اندمج في المباراة بكل جوارحه. استغرب سؤالها الخارج عن السياق، وقفزت إلى مخيلته صورة رآها على موقع للتواصل الاجتماعي، تقارن بين مخ الرجل بسيط التكوين، ومخ المرأة المليء بالتلافيف والتفاصيل والأفكار المتشعبة، فأجابها قائلاً:

- هي فعلا ما كانتش شقة، كانت أوضتين في بدروم العمارة، جنب أوضة البواب.

- البدروم! طب إزاي كنتم أصحاب؟

- الكورة هي اللي جمعتنا، كنا بنفضل نلعب كورة طول الليل في الصيف مع ولاد الجيران. وهُم برضه مافضلوش في البدروم كثير، بابا معتز كان تاجر وربنا فتحها عليه، وكلها كم سنة وبني عمارة كبيرة نقلوا فيها.

- سبحان مغير الأحوال.

- التجارة بقي... بس تعرفي.. البدروم ده كانت ليا
معاه ذكريات. لما كنت أعدي من الشارع كنت ألاقى
شباييكه عند رجليا.. ووشوش الناس اللي ساكنة فيه
بتبصلي لفوق.. كأنهم سكان من تحت الأرض.. كان
عندي فضول أعرف بيشفوا إيه من جوه. لما زرت معتر
في بيته أول مرة، بصيت ناحية الشبايك، كانت صغيرة
وعالية، أقرب للسقف وعليها قضبان حديد. رجلين مختلفة،
بتتحرك بسرعة من قدام القضبان.. وساعات بتمشي
بيطء.. أو تقف لحظة وبعدين تكمل في طريقها.. رجلين..
هو ده اللي كان ممكن يتشاف من تحت. رجلين بس من
غير وشوش. عملناها لعبة، نخمن مين اللي معدي في الشارع
من جزمته. ولما كانت عربية الجاز تعدي.. كان العادم
بتاعها بيملا الأوضة، ونجري نجيب العصايا علشان نرد
بيها ضرف الشباك وإحنا بنكح ونضحك. الإوض كانت
بتطل من جوه على منور العمارة. مساحة كبيرة فاضية
كانت أم معتر بتربي فيها فراخ. لسة فاكر الديك الرومي
الوحيد اللي كان بيمشي نافش ريشه وسط الفراخ. كانت
أيام ما تنتسش..

قال هشام عبارته الأخيرة وهو يتهد. تأملته نانسي وهو
ينظر إلى أعلى شاردًا، ثم وفي لحظة، انقشعت ذكرياته
وعادت مقلته تتحركان يمينًا ويسارًا مع حركة الكرة على
الشاشة.

أبت نانسي أن تتركه للكرة دوغما الإجابة على كل ما أثار

فضولها في الأمسية، فعادت تسأله:

- كنتم بتوشوشوا في إيه لما ولاء جالها التليفون؟

انتزع هشام نفسه بصعوبة من أحداث المباراة التي حمي وطيسها وعبثاً حاول استرجاع حوارهِ مع معتز حتى تذكر عبارته:

- اسمها رنا، إنما إيه، تحل من على جبل المشنقة.

- اعقل يا معتز. عايز تتجوز على ولاء! وواحدة من عانت؟؟ ده انت حتى ما شفتهاش ع الطبيعة!

- عايز ألق اتبسطلي يومين يا أخي، وبعدين ما أنا شفت صورتها ع النت، وهاشوفها بكرة واللا بعده بالكثير، لما ولاء تسافر مع أختها.

- ولاء... ولاء دي لو شمت خبر هتقتك.. هتحتلك سم في الشاي وبعدين تقطع جثتك بالساطور.

- ماتقلقش، عمر الشقي بقي، وأنا مش ناوي أطول في الجواز، هاشوفلي يومين حلوين معاها وأخلع.

- بس كدة إنت ه...

قاطعهُ معتز قائلاً:

- غير الموضوع، ولاء جاية علينا.

استرجع هشام المحادثة، وتساءل ماذا عساه يقول لزوجته، بحث في عقله عن مخرج آمن، وتخيّر كلماته بحذر

قائلاً:

- معتز مش مرتاح مع ولاء، فكان يباخذ رأبي في الجواز الثاني.

أدرك هشام من ملاح نانسي الممتعضة أنه قد تفوه بإجابة خاطئة، فاستدرك في محاولة للتخفيف من وقع ما قاله:

- أنا قتلته لأ طبعاً، حرام عليك ولاء..

- هي ولاء شكلها صعبة فعلاً، والجواز الثاني ربنا محله.

عاد هشام برأسه إلى الورا محاولاً استيعاب رد زوجته غير المتوقع، ولكنها أكملت:

- بس حرام عليه الولاد...

شعر هشام بطوق النجاة يظهر له في الأفق، فالتقطه قائلاً:

- مانا قتلته كدة برضه، بالذات حمادة الصغير، واضح إنه متعلق بيه، ومع تخلفه العقلي ده هيفضل عاجز.

- ماسموش تخلف عقلي.. اسمها متلازمة داون، وطفل الداون مش عاجز، ده يقدر يعمل كل حاجة، بيتعلم ويشغل ويتجوز كمان، الناس هي اللي مش عارفة إمكانياته للأسف.

استغرب هشام رد نانسي.. تفرس في ملامحها محاولاً سبر

أغوارها فنحتته ابتسامة جميلة طمأنته فعاد لمتابعة المباراة.
نظرت نانسي إلى المرأة وهي توزع الدهان المرطب على
وجهها ورقبتها في شرود، متفكرة فيما قاله هشام، وقد ظل
أمر واحد مما قاله يدور في تلافيف مخها ويقلقها:
الزواج الثاني.

(12)

بكاء!

تقلبت نانسي في فراشها وقد جافاها النوم. أخذت أحاديث الأمسية وتفاصيلها تدور في مخيلتها؛ علاقة الصداقة بين هشام ومعتز، الأشياء المشتركة التي تجمعهما.. ما يزال أمامها الكثير حتى تعرف كل شيء عن هشام.

قطع صمت الليل صوت خافت أثار قلق نانسي، أصاحت السمع فميزت صوت بكاء، انخلع قلبها ظانة أنه زين فقامت من فورها لتفقده. وما إن خرجت من الغرفة حتى أدركت أن البكاء ليس صادراً من غرفة زين المجاورة، وأنه ليس ببكاء طفل!

هبطت نانسي الدرج في ببطء متبعة الصوت...

توقفت عند غرفة أم رضا وطرقت الباب، انتظرت لحظة فلم يأتها رد، أدارت مقبض الباب وفتحته ودست رأسها فرأت أم رضا جالسة على فراشها تبكي وتنهه محتضنة شيئاً ما...

- أم رضا... مالك؟

بوغت أم رضا بنانسي، فرفعت رأسها وحاولت كفكفة دموعها سريعاً قائلة:

- صوتي صحاكي؟ آسفة أنا ك...

- أنا كنت صاحبة.. بتعيطي ليه؟

صمتت أم رضا، وأبعدت ما كانت تحتضنه عن جسدها قليلاً، فإذا بها صورة بداخل إطار بسيط، ما لبثت أن قربتها وتأملتها وعادت دموعها للانهمار، ولكن في صمت هذه المرة. استلّت منها نانسي الصورة برفق، وتأملتها.

صورة يتجلى فيها الشباب وتنفجر منها الحيوية، وتوسطها ابتسامة آسرة. سألتها نانسي في حيرة:

- صورة مين دي؟

ردت أم رضا:

- رضا.. نور عيني اللي انطفأ.

ثم أجهشت في البكاء... تفاجأت نانسي التي لم تكن تعرف عن الأمر شيئاً، حاولت أن تلمسك وهي تربّت على كتف أم رضا في حنان مرعدة:

- يا حبيبي... يا حبيبي...

تأملت الصورة مجدداً وهي تقول بنبرة رقيقة:

- ساحبيني... ما كنتش أعرف.

- نور عيني، وسندي الوحيد في الدنيا بعد ما جوزي راح... منهم لله اللي كانوا السبب.

- مين؟

- ربنا ينتقم منهم ويحرق قلبهم زي ما حرقوا قلبي...

عيل ماعوش رخصة، كان سايق عربية أبوه وبابنه كان
سكران، طلع ع الرصيف وخبط رضا، والسر الإلهي طلع
في ساعتها. الواد المجرم ده خرج منها زي الشعرة من
العجين بفلوس أبوه... أما أنا، أنا اللي عايشة بحسرتي، ما
حيلتيش غير الصورة، أفكر وأعيط...

تمزق قلب نانسي على حال أم رضا الصامته دوماً في
رضا، لم تتوقع أن تكون حاملة بداخلها كل هذا الهم
والألم!

جلبت لها نانسي كوباً من الماء وجلست بجوارها حتى
شربته وهدأت قليلاً، فركتها وعادت إلى غرفتها لتقلب في
نومها حتى انبليج الصباح.

وفي الصباح.. جلست نانسي على طرف الفراش،
والإرهاق باد عليها، تتابع هشام وهو يرتدي ملابسه
استعداداً للخروج.

- إيه حكاية أم رضا؟ كانت بتعيط جامد ليليل وحاضنة
الصورة.

- أنا ما حسيتش بيها. إيه اللي فكرها؟

- اللي كان عندها ابن ومات... مستحيل تنسى.. أبداً...

أجابته نانسي بصوت أجش جعله يتساءل عما ألم بها،
ثم عدل عن سؤالها وأغلق أساور قيصه وأوماً برأسه إليها
قائلاً:

- عندك حق، ربنا يصبرها، هي كان بقالها فترة هادية،
علشان كدة مستغرب.

- هي كانت بتشتغل عندهم وقت الحادثة؟

- بالعكس، الحادثة هي السبب اللي خلى ماما تعرفها
وتساعدنا كل فترة لحد ما نقلنا هنا. فاما جابتها تعيش
معانا هنا منها تونسها ومنها تساعدنا..

- مسكينة.

- كانت دائماً تقول إن ربنا عوضها بينا ويزين، لكن
يظهر عندك حق، صعب تنسى.

قالها وقبلها على جبهتها قائلاً إنه يجب أن يتركها وإلا
سيأخر على عمله، ثم ذكرها بوصول نجاة أخته اليوم من
كندا، طمأنته نانسي أنها لم تنس، وأنها ستعد لها مأدبة
فاخرة تليق بلقائها الأول بها ولكن هشام أخبرها ألا
داعي لذلك لأنها تأكل عدة مرات على الطائرة وتصل
منهكة لا تريد سوى النوم. على أن يتناولوا الغداء معها في
اليوم التالي.

رحل هشام وعادت نانسي تستلقي في الفراش محاولة
التشبث بأذيال النوم، الذي جافاها مجدداً.

قلق خفيف انتابها من فكرة مقابلة نجاة أخت هشام،
فهي تُعتبر قريبته الوحيدة، باستثناء عمه وخالته وبعض
أبناء عمومته الذين لم تلتق بهم إلا يوم الزفاف، بينما حالت

ظروف نجاة دون الحضور لتزامنه مع اختبارات ملك ابنتها في المدرسة. وها قد أنهت ملك اختبارات وأخذت نجاة إجازتها السنوية من عملها والتي تقضيها في مصر كل عامين. رسمت نانسي صورة لنجاة في مخيلتها مبنية على صورها القديمة التي رأتها في الألبوم.

ولكنها لم تستطع رسم صورة لشخصها، أو طباعها.

- يا ترى هنتفق؟

تساءلت نانسي بقلق، فحبها هشام وزين جعلها راغبة بشدة في الفوز بحب نجاة وابنتها أيضاً، لتتعم بالسلام والاستقرار الأسري أخيراً، مع عائلة كبيرة محبة. حاولت نانسي الهروب من قلقها، فلجأت إلى أحلام اليقظة، تتخيل نفسها واقفة وسط مروج خضراء واسعة، وبجوارها هشام، يحيطها بذراعيه، وأمامها يلعب زين مع ملك، وتقف لهم نجاة على مقربة.

أغمضت عينيها على تلك الصورة، وانزلت في نوم هادئ...

(13)

نجاة

رن جرس الفيلا. اتجهت أم رضا نحو الباب فسبقتها
نانسي وزين يتقافز حولهما مهلاً:
- آنتي نجاة جت.

فتحت نانسي الباب، وانسل زين من خلفها نحو عمته
التي ما إن رآته حتى جثت على ركبتها تستقبله بين
أحضانها قائلة بشوق:
- حبيب آنتي نجاة.. وحشتني.

دام الحضن طويلاً حتى تدخل هشام من وراء نجاة
قائلاً:

- كفاية أحضان يا زين، سيب نانسي تسلم على عمتك.
استسلم زين مبتعداً نحو ملك التي كانت تحمل بيدها
حقيبة بلاستيكية كبيرة تشي بما في داخلها من ألعاب،
فأخذها منها زين فرحاً بينما وضع هشام ذراعه على كتف
نانسي قائلاً لنجاة:

- أخيراً هتعرفي على نانسي.

خطت نجاة خطوتين إلى الأمام باتجاه نانسي ومدت
يدها لتسلم عليها. مدت نانسي يدها محتارة، هل تدفع
بجسدها إلى الأمام فتقبلها، أم ستكتفي نجاة بسلام اليد؟

اكتفت نجاة بالسلام باليد قائلة:

- مبسوطة إني باتعرف عليكي أخيراً، هشام مالوش سيرة
غير عنك وعن السعادة اللي داقتها معاكي، وأنا قتلتها: لو
إنت بتحبها، يبقى أنا كان بحبها حتى من قبل ما أشوفها.

قالتا نجاة ثم توجهت نحو غرفة الاستقبال في سرعة
قائلة:

- يلا نقعد الرحلة كانت مرهقة.

دوى صوت كعب حذاءها على الأرض الرخامية في
قوة، وأشيأ بالكثير عن شخصيتها. تبعها نانسي وهي نتأملها،
قامتها طويلة تقترب من قامة هشام وتمائله رشاقة، ترتدي
بنطالاً كلاسيكياً أسود حسن التفصيل، وقيصاً حريراً
بلون اللؤلؤ تزينه من عند الرقبة ربطة سوداء أنيقة، ومثلها
على أساور الأحكام، وقد غطت شعرها بإيشارب حريري
منقوش بورود رقيقة، ملفوف حول رقبتها ومربوط
من الخلف بإحكام. كان زيتها كله محكماً، وكأنه امتداد
لشخصيتها القوية المحكمة. جلست نانسي أمامها تتساءل في
قلق: ترى هل ستفقان؟

ليبقى سؤالها معلقاً بيد القدر...

*

تمددت نانسي على مقعد في حديقة الفيلا تتأمل زين
بعينها الناعستين وهو يلاعب بسعادة القط الذي اقتناه

- طالما رجعه البيت يبقى ما تفلّش، نزلة معوية
وهتروح لخالها.

- مش عارف ليه قلبي مقبوض، وشه كان أصفر
وما كانش قادر يصلب طوله.

- أي دور ترجيع وإسهال بيعمل كدة، يومين ويبقى
زي الفل.

هتف هشام من أعماقه:

- يا رب.

زيارة هادم اللذات

استلقت نانسي في فراشها تتأمل السقف المذهب بقلب مقبوض على إثر مكالمة هشام التي استقبلتها منه في الموعد المقترض لعودته من العمل، إذ هتف بها:

- نانسي، معتر تعب ونقلوه المستشفى، أنا رايحله على هناك، ومش عارف هارجع على إمتي.

- طيب يا حبيبي ربنا يطمنك عليه.

مرت الطقوس المعتادة مع زين من عشاء، واستحمام، وقصة قبل النوم، حتى غفا أخيراً. أبقته نائماً بجوارها في الفراش. كانت تحتاج إلى الونس وقد أنبأتها غريزتها بأن الليلة ستطول.

فتحت التلفاز تقطع به الوقت فوجدت حلقة من حلقات الرسوم المتحركة (توم وجيري). تابعتها بعينها وعقلها شارد، تفكر في هشام، والدعم الذي يحتاجه الآن. بالعشرة أدركت نانسي مدى هشاشة زوجها من الداخل. والدته الحاجة وفاء كانت أمًا حنونًا ورؤومًا، ربما بشكل زائد عن الحد. وقد تساءلت نانسي هل أتى ذلك الاحتواء المبالغ فيه بنتيجة عكسية جعلت منه رجلًا هشًا، لا يتحمل نواب الحياة التي اعتادت والدته حمايته منها ومن المشاعر الأليمة التي تنتج عنها!

شعرت نانسي بحاجتها إلى متابعة فيلم تضع فيه انتباهها
فأخذت تقلب بين القنوات حتى وجدت فيلم «الشموع
السوداء»، أحد أفلامها المفضلة. راقبت صالح سليم وهو
يعبس في وجه نجاة وشعرت بالشبه الكبير بينه وبين
زوجها حينما يعبس. وانساب أفكارها مع الفيلم...

«لا لا لا تكذبي... إني رأيتكما معاً...»

بالهمس، باللمس، بالآهات، بالنظرات، بالفتات،
بالصمت الرهيب...

بالصمت الرهيب»

تصاعدت دقات قلبها..

أية لوعة أمت بقلب صاحبها تخضت عنها تلك الكلمات!
تداخل صوت جرس هاتفها مع نغمات الأغنية وهي بين
النوم والصحيان حتى انتبهت له فردت لتجد زوجها يهتف:
- معتر مات يا نانسي... معتر مات...

توقف قلب نانسي عن الخفقان، ولم تدر ما تقول لزوجها
الذي يقطر صوته صدمة وألماً،

- ربنا يرحمه... ربنا يرحمه ويصبركم يا حبيبي.

- مش قادر أصدق، ده إحنا كذا لسة مع بعض من
أسبوعين وكان زي الفل.

- أمر الله يا حبيبي.

- أنا تعباً ان..

قالها هشام بصوت متهدج، ثم تغير صوته فجأة وصار أبعد
وكانه يكلم شخصاً آخر:

- أيوة... تصریح الدفن؟

عاد بصوته إليها قائلاً:

- لازم أمشي دلوقتي علشان إجراءات الدفن والصلاة..
ادعيلي.

أغلقت نانسي الهاتف، وارتمت على الفراش وحزن شديد
يكتنفها، تفكرت في معتز، وفي زوجها. لم تدر كيف
تساعده على تخطي هذه الأزمة. قررت الاتصال بنجاة فهي
تعلم أن شخصيتها العملية الصارمة، تخفي وراءها الكثير
من العطف والمساندة لوقت اللزوم. وقد أظهرت نجاة
قدرة فائقة على إدارة الأمر كما توقعت نانسي، ذهبت
إلى المستشفى وظلت معهم حتى انتهت الإجراءات،
وتم الغسل، ثم تحركت معهم لصلاة الجنازة، ثم الدفن،
الذي عاد بعده معتز بصحبة أخته إلى المنزل. استقبلته
نانسي وراعها وجهه الشاحب ونظراته الزائغة. أرادت أن
تحتضنه، كانت موقنة أن تلامسها كفيل بتفريغ طاقة
الأم والحزن منه، ولكن قدميها تسمرت في الأرض بلا
مبرر. أما هو، فقد دخل ورمى نفسه على أقرب مقعد.

انتحت بها نجاة جانباً قائلة:

- هشام منهار يا نانسي، أنا خايفة عليه.. ساعة وفاة ماما دخل في دور اكتاب جامد، مش عايزينه يرجعه تاني، خللي بالك منه.

قالتها نجاهة ثم أطرقت متفكرة قبل أن تردف:

- إيه رأيك تسافروا السخنة يومين تغيروا جو.

- يا ريت.. بس هو يوافق.

- هاتكلم معاه.

ذهبت نجاهة باتجاه هشام وتكلمت معه قليلاً ثم عادت

لنانسي قائلة:

- مش موافق على السفر، بيتحجج بالشغل. خللي بالك

منه يا نانسي، لازم أمشي دلوقتي، إنتي عارفة أنا سايبة

ملك عند صاحبته من إمبراح.

اقرب زين من هشام، صعد على حجره ولف ذراعيه

الصغيرين حول رقبة والده قائلاً:

- داداي داداي وحشتني.

لم يستجب هشام لزين الذي حلق في وجه أبيه قبل أن

يسأله في قلق طفولي:

- فيه إيه يا داداي؟

اقربت منه نانسي ورفعته إليها ولكنه تملص منها ووقف

على الأرض غضبان.

- بابا تعبان يا زين. تعالى معايا نسييه يريح شوية.

أخذت نانسي زين إلى غرفته وتركته يلعب بالمكعبات المغناطيسية الجديدة التي أثنه من كندا، ثم تبعت هشام إلى غرفتهما وسألته في خفوت:

- أجيبك تاكل يا حبيبي؟

- مش قادر دلوقتي، لو سمحتي ضلبي الأوضة، هانام شوية.

فعلت نانسي ما طلب وخرجت من الغرفة مغلقة الباب خلفها في هدوء. مرت ساعات المساء ثقيلة على نانسي وحيدة. حاولت الانشغال باللعب مع زين، ولكنه بعد دورين اعترض قائلاً:

- انتي كل شوية تغلطي يا نانسي وتبوظي اللعبة، مش هالعاب معاكي، أنا هاتفرج على الكرتون.

أطاعته نانسي وهي تعلم أنه مصيب. جمعت قطع اللعبة في شرود، ثم توجهت نحو المطبخ حيث صرفت أم رضا وأشغلت نفسها بغسل الصحون لعلها تطرد بها التفكير السوداوي الذي اجتاحتها إذ شعرت أن سعادتها على المحك. توقها الشديد للأمان والاستقرار، وخوفها المرضي من أي شيء قد يزعزعه ولو لحين، جعلها القلق ينهشها بلا مبرر.

*

أسدل الليل ستاره أخيراً.

نام زين وأطفئت الأنوار، وتمددت نانسي على الفراش بجوار هشام الذي كان لا يزال نائماً. بعد لحظات أدركت أن نوم هشام كان مليئاً بالحركة والتقلب وكأنه محموم. تحسست جبهته بكفها فوجدت حرارته عادية. طمأنت نفسها بأنه يرى حلماً سرعان ما سينتهي وحاولت الاستسلام للنوم. قرأت آية الكرسي وبضع آيات أخرى تحفظها، حتى نامت.

استيقظت نانسي في منتصف الليل على صوت غريب على مقربة منها. انتبهت على يدي هشام تتحركان في الهواء وهو يصدر همهمات وحشرجات متقطعة، ربت نانسي على كتفه برقة محاولة إيقاظه:

- هشام... إنت بتعلم؟

استمر بتريديد عبارات غير مفهومة،

«ليه يا معتز... لا... حرام عليك... ما كنتش أعرف...»

لا يا معتز... الظلم حرام... حرام...»

أضاءت نانسي المصباح المجاور للفراش، ثم كررت محاولاتها إفاقة بهزات أقوى لكتفه، وصوت أعلى. انتبه هشام من نومه ونظر نحوها في عدم تمييز بعينين متسعيتين وجبهة تجمع عليها العرق.

- حبيبي، إنت كنت بتعلم واللا إيه؟ كنت بتقول معتز.

تسارعت أنفاسه وهو يردد:

- معتز؟ أنا قلت معتز؟ مش عارف.

ناولته نانسي كوباً من الماء، فارتشف منه بضع رشقات،
انتظرت حتى انتظمت أنفاسه من جديد، واقترحت عليه
بجذر:

- حبيبي، إيه رأيك بزوح بكرة لحنان؟

- حنان؟

- أيوه.. أنا قلقانة عليك.. خلينا زوح سوا.. ها كلها
وأجز لنا معادين. أنا كمان محتاجة أتكلم معاها شوية.

حلق هشام في وجهها ثم حول عينيه عنها إلى الفراغ
قائلاً باستسلام:

- زي ما تشوفي.

قالها هشام ثم أغمض عينيه، وسرعان ما غط في النوم
مجدداً بملاح متجهمة ارتسمت عليها آثار الإرهاق والهلم.
تأملته نانسي وهمست لنفسها في وهن:

- حاسة إني ماعرفوش، كان لازم أسمع كلام حنان لما
قالت نستنى شوية على الجواز لحد ما نعرف بعض أكثر.

إعصار جارف من القلق تجمع بداخلها، تزايدت سرعته
فأخذ يعصف بقلبا ويضرب جوانحها بعنف. تساءلت في
حيرة:

- يا ترى بكرة مخيلنا إيه؟

ويا ليتها كانت تعلم!

(15)

السر

أتى صباح اليوم التالي غائماً وكأنما تضامنت السماء مع الأحداث.

ظل هشام في فراشه طيلة الصباح وأبلغ البنك بإجازة عارضة. حاولت نانسي تدليله قدر استطاعتها، نخرجت إلى الحديقة، وقطفت مجموعة من الزهور وفرقتها على زهريات المنزل، وأضاءت الشموع العطرية المتناثرة في الأرجاء. تداخلت الروائح المبهجة مع ألوان الزهور في لوحة حسية، جاذبة لكل نفس، إلا النفس التي تآقت هي لجذبها. وفي فقرة الغداء، جلس هشام صامتاً أمام المائدة، لا يقو على رفع الملعقة إلى فيه.

- دادي إنت ليه مش بتاكل؟

أجاب هشام زين بابتسامة باهتة وقضم رغماً عنه قضمه صغيرة من رغيف الخبز أمامه، لم يستطع مضغها، فظلت معلقة في فمه. بعد فقرة الغداء شجعت نانسي هشام على ارتداء ملابسه والخروج، وسرعان ما كانا يدفقان معاً إلى مركز الاستشارات النفسية.

وقفت حنان لترحب بهما،

- أهلاً أهلاً... اتفضلوا... يا ترى إيه سر الزيارة المفاجئة

دي؟

نظرت نانسي إلى هشام لكي يأخذ ناصية الحديث ولكنه ظل صامتاً فأردفت قائلة:

- صاحب هشام توفاه الله.

اتسعت عينا حنان وامتلاؤها بالتعاطف، تأملت وجه هشام الخالي من التعبير للحظة قبل أن تقول لنانسي:

- طب استنينا إنتي برة يا نانسي شوية؟

اختلست نانسي النظرات نحو زوجها ثم انصاعت لطلب حنان، نفرجت وأغلقت الباب. جلست حنان على مقعدها مشيرة لهشام بالجلوس فجلس أمامها محققاً نحو الفراغ. سألته حنان وهي تضغط على زر التسجيل في إشارة لبدء الجلسة:

- خير يا هشام؟

بعد لحظة طويلة من الصمت، انتظرتها حنان في صبر، أجبها هشام. توالى أسئلتها الدقيقة لتشرح حالته. تجاوب معها وحكى لها عن لحظات الموت القائمة، ومراسم الدفن التي انقبض لها صدره، وصدمة الفقد المفاجئ، والحياة التي تسربت من جسد صديقه بلا نذير.

استمعت إليه حنان في تودة وهي تبحث معه عن الإبرة الخفية في كوم القش بداخله. أنبأتها خبرتها أن هناك ما يؤرقه بخلاف موت صديقه وإن نحت أنه مرتبط به. وقد كانت مصيبة... إنه ذلك السر الذي ظل أعواماً عديدة

دفيماً بين الصديقين، حتى قرر هشام البوح به لها اليوم!

بعد قرابة الساعة، انتهت الجلسة.. وخرج هشام إلى نانسي. نظرة واحدة منها إلى وجهه أوقفت إعصار القلق عن الدوران. كانت صفحة وجهه هادئة ومطمئنة، فظلت ناظرة إليه. عيونها معلقة بوجهه. تترجم شبح الابتسامة التي تفتحت على شفثيه، إلى تأكيد لنفسها، بأن أحزان الأمس لم تكن إلا زوبعة في فجان. وأن السعادة بينهما هي الأصل.

وإلى الأبد...

- يلا بينا؟

هتف بها هشام بنبرة مبهجة وهو يجذب نانسي من مرفقها.

تدخلت حنان قائلة في سرعة:

- لا أنا اتفقت مع نانسي على جلسة، مش كدة واللا إيه؟

انتظرت حنان إجابة نانسي التي ظهرت على وجهها أمارات التردد. نظر إليها هشام مشجعاً، فتحركت متناقلة نحو مكتب حنان ودخلته وجلست. أغلقت حنان الباب فسألها نانسي:

- حنان أنا قلقانة على هشام، ماله؟ وقتيله إيه علشان حالته يتغير بالشكل ده؟

اتسعت ابتسامة حنان وهي تجيب بنبرة معاتبة:

- إيه يا نانسي! إنتي نسيتي نظامنا واللا إيه؟ أي كلمة بتتقال هنا تعتبر سر، حتى عن أقرب الناس للعميل.

رمقتها نانسي بنظرة محبطة فضحكت قائلة:

- اطمني، هشام بخير، أنا قلقانة عليكِ إنتي.

قبل أن تجيبها نانسي تصاعد صوت طرق على باب الغرفة ثم طلت منه فتاة الاستقبال قائلة:

- آسفة جدًا، دكتور محمود عايزك ضروري على التليفون، الخط مش راضي يتحول وموبايلك غير متاح.

ترددت حنان،

- إحنا في وسط جلسة وإنتي عارفة إن...

ثم قطعت عبارتها وهي تستأذن من نانسي قائلة:

- أكيد حاجة طارئة وإلا ما كانوا قطعوا الجلسة علينا.. معلى هارجعلك على طول.

بانتظار عودة حنان، شغلت نانسي نفسها بالنظر في أرجاء الغرفة. وقع نظرها على جهاز التسجيل الصغير الراقد في سكون على المكتب.

دق قلبها.. وتركزت أشعة عينيها على الجهاز كالذب الذي رأى أمامه فجأة فريسته سهلة المنال تُتغنى بانتظاره. لم تقاوم. بل، مدركة ضيق الوقت المتاح، أمسكت بالجهاز

وضغطت على زر السابق للحظة ثم ضغطت زر التشغيل...

فأناها صوت هشام المتعب قائلاً:

- موته أثر فيا قوي.. ده كان أصغر مني...

تلاه صوت حنان وهي تتكلم معه عن طبيعة الحياة والموت. قدمت نانسي المقطع قليلاً ثم شغلته مجدداً:

- الكلام اللي قاهولي وهو يموت.. الذنوب اللي كان خايف يقابل ربنا بيها.. البنات اللي لعب بيها والبيوت اللي خربها والروح اللي راحت بسبب سواقته وهو سكران.

- هشام. معتر ده كان صاحبك من زمان.. كنت عارف عنه كل الحاجات دي، إيه الجديد؟ إيه اللي مخليك في حالة الصدمة دي؟

صمت...

- إنت عارف إن أي حاجة هتقولها هنا هتفضل سر مهما كانت.. وعارف برضه إنك محتاج تفضفض.. ها؟

خرجت الكلمات من فم هشام بسرعة كمن قرر نفض الحمل عن أكفاه:

- الببي... الببي اللي هو اتسبب في موته، ما كنتش أعرف إني شريكه في الجريمة، قاللي إنه مقلب وأنا صدقته. والله العظيم كنت فاكر الموضوع هزار لحد ما اعترف لي بالحقيقة وهو يموت، ومن ساعتها وأنا هاتجنن...

- إنت عملت إيه بالضبط؟

تلاحقت أنفاسه وهو يجيب بنبرة مرتعشة:

- كنت وقتها معروف وسط صحابنا إني خبير في الفوتوشوب، جالي معزز وطلب مني أغير رقم في تقرير معين، عمري ما كنت أتخيل إن حاجة بسيطة زي كدة ممكن تسبب في موت بيبي بريء..

سمعت نانسي صوت الباب فأسرت بوضع الجهاز مكانه واعتدلت في جلستها مستقبلة حنان التي قالت:

- آسفة جداً يا نانسي أنا ك...

انتهت حنان لوجه نانسي المربد فقطعت عبارتها وسألتها متوجسة:

- مالك؟

- لا شيء.. قالتها، ثم استدركت محاولة الهروب من نظرات حنان النافذة:

- قلقانة على هشام، ولما سبتيني لوحدي، فضلت أفكر وقلققت عليه أكثر، لازم أكون جنبه دلوقتي، هاعدي عليكِ وقت تاني.

- نانسي إحنا محتاجين نتكلم، أنا مش مرتاحة لوضع...

لم تمهلها نانسي إتمام عبارتها بل خرجت من الغرفة مسرعة. أدركت حنان أن الحوار لن يكون مشمراً في هذه

الأجواء، فانصاعت وتبعتها إلى حيث كان هشام جالساً،
بدلت نظراتها بينهما في قلق ثم قالت:

- مش هاوصيكم.. خلوا بالكم من بعض. ثم أضافت
بلهجة جادة:

- نانسي... مستنياكي في أقرب فرصة.

أومأت نانسي برأسها في صمت، ثم خرجت مع هشام
وجلست إلى جواره في السيارة شاردة لا تتكلم. لاحظ
هشام صمتها فأخذ يختلس إليها النظرات في فضول متسائلاً
فيما تفكر.

دلفا إلى الفيلا واستقبلهما زين بصخبه المعتاد. لم تنتبه
له نانسي بل أسرعت خطاها على السلم إلى غرفة النوم
وارتمت على الفراش بملابسها وحذاءها، وتسمّرت نظراتها
على السقف في جمود.

دخل هشام وراءها وأوقد النور قائلاً:

- مالك يا حبيبي.

- مش عارفة مالي، حاسة إني تعبانة.. محتاجة أرتاح
شوية.

سألها هشام متوجساً:

- حنان قالتلك حاجة ضايقتك؟

- أبداً، إحنا مالحقناش نتكلم، يظهر توتر اليومين اللي فاتوا

طلع عليا بمجرد ما اطمنت عليك. ماتقلقش.. هانام شوية
وأصحى كويسة.

تركها هشام وهو يشعر أن المشهد برمته قد استغلق
عليه. أما نانسي فهدقت في الفراغ تتفكر فيما سمعته.
أخذت كلمة «جريمة» التي سمعت هشام يقولها لحنان تكبر
وتتضخم حتى ملأت الغرفة وأطبقت على أنفاسها، ليزداد
قلبا انقباضاً وتنساب دموعها في صمت.

(16)

أفول وذبول

استيقظت نانسي وقد غطى الظلام الكون بستاره... شعرت بفمها جافاً ولم تجد ماءً بجوارها، خرجت من الغرفة لتجلب ماء فسمعت همهمات خافتة، نزلت على السلم لتجد نجاة جالسة مع هشام يتهامسان. توقف الكلام بدخولها.

سلمت نانسي على نجاة التي ما إن رأتها حتى هتفت:
- مالك يا نانسي؟ إحنا ما صدقنا هشام بقى كويس،
تتعي إنتي؟

سألها هشام في اهتمام:

- الصداق خف شوية؟

- الحمد لله أحسن. خرجت العبارة منها بصوت أجش
استغربته.

نادى هشام على أم رضا وطلب منها إعداد كوب من
الينسون الدافئ بالعسل لنانسي، وطلب فنجاناً من القهوة
لنجاة ولنفسه. لحظات وظهرت السيدة الطيبة تحمل صينية
عليها المشروبات المطلوبة. قدمت لنانسي الينسون قائلة
بحنان:

- سلامتك يا مدام نانسي.

ثم قدمت القهوة لنجاة قائلة:

- مضبوطة ومغلية ومن غير وش، مانسيتش بتجيبها إزاي.

أخذت نجاة الفنجان من يدها وشكرتها بحرارة قبل أن توصيها على أخيها وزوجته وتؤكد على احتياجهما لتغذية جيدة خاصة نانسي التي بدا ذبولها واضحاً.

- دول في عينيا يا ست نجاة. قالتها أم رضا وهي تقدم فنجان القهوة لهشام. أنهت نجاة قهوتها سريعاً قبل أن تستأذن لاصطحاب ابنتها ملك من المركز التجاري القريب الذي تمشى فيه مع صديقتها. انتظر هشام حتى خرجت نجاة ثم قام من مكانه وجلس بجوار نانسي. شعر بها تجفل وتنكش على نفسها. نظر إليها باستغراب، طالت نظرتة المتسائلة وطال صمتها حتى قطعتة بنبرة يشوبها الاعتذار:

- لسة تعبانة، خايقة يكون دور برد وأعديك.

- ويمكن حامل.

ألقتها أم رضا التي أتت لرفع الفنجانين في حبور، ألقها على الفور هشام بنظرة حادة فارتبكت وتصاعد صوت ارتطام الفنجانين في الصينية التي تحملها، بينما أجابتها نانسي بنظرة وجوم وحزن. أتبعها قائلة بنبرة متعبة:

- أنا ماينفمش أبقى حامل يا أم رضا.. أنا مابخلفش.

دوت عبارتها على أسماع أم رضا كالرعد. اتسعت عيناها وازداد ارتباكها وهمت بالكلام فأشار لها هشام بإشارة

ذات مغزى جعلتها تتراجع متعثرة بخطواتها. بينما وضع هشام ذراعه حول كتفي نانسي، قائلاً بلطف:

- وإحنا مش عايزين أطفال، إحنا متفقين من قبل الجواز إن زين كفاية علينا.

منحت نانسي هشام ابتسامة باهتة، ثم لفت رداءها حول جسدها بإحكام قائلة:

- حاسة إني بردانة.. هارجع السرير أحسن..

*

استيقظت نانسي على صوت فتح الستائر. رفعت جفنيها ببطء لتجد نور الصباح قد غمر الغرفة، والستائر الحريرية الخفيفة تتراقص أمام النافذة.

- صباح الخير حبيبتي.

انتبهت نانسي إلى هشام الواقف بجوار الفراش يحمل بين يديه صينية عليها طعام الإفطار، اعتدلت في جلستها وهتفت في مزيج من الدهشة والمجمل:

- يا خبر! ليه تعبت نفسك؟

- أنا بقيت كويس الحمد لله، زيارة حنان فرقت معايا كتير والفضل ليكي. دلوقتي أنا قلقان عليكي إنتي، لازم تاكلي كويس زي ما نجاة قالت.

أخذت نانسي الصينية من هشام ووضعتها بجوارها.

- هاستناكي في الجنية نشرب القهوة سوا.

- مش هتروح الشغل؟

- أخذت النهاردة أجازة علشان أراعيكي وأطمئن عليكي.

أدفأت كلها هشام الرقيقة قلب نانسي الذي بات
ليلته حائرًا متوجسًا. ارتشفت من عصير البرتقال والأفكار
تهب عقلها وتعصف به في سجال حامي الوطيس بين
صوت العقل وصوت العاطفة:

- مالك إنتي ومال الماضي يا نانسي؟ مش آن الأوان
تحرري منه وتعيشي مبسوفة مع اللي اختاره قلبك؟ عيشي
سعيدة مع هشام وزين وسبيك من اللي سمعته.

- عايزها يا قلب تكمل حياتها معاه بعد ما سمعت بودانها
إنه شارك في جريمة قتل؟ إنت أكيد مجنون.

- أنا مش مجنون، أنا أعقل وأعدل منك يا عقل، إنت
اللي جامد ومتحجر.. هشام اعترف إنه ماكانش يعرف
حقيقة الخدعة اللي شارك فيها غير من معتز وهو بيموت،
يعني ما يعتبرش شريك في الجريمة بالعكس ده ضحية،
مش جاني. ماتسمعيش لصوت العقل ده يا نانسي وإلا
هيبوظ حياتك وهيربطك في الماضي وإحنا ما صدقنا.

ابتسمت نانسي وقد عزمت على سماع نصيحة قلبها.
وضعت كوب العصير من يدها، وقامت تنظر إلى وجهها
الشاحب في المرآة وهي تقول لنفسها:

- انسي اللي فات يا نانسي وعيشي مبسوطه، احنا ما
صدقنا الدنيا ابتمتلك.

تألقت عيناها بنظرة تصميم وأسرعت إلى دورة المياه
الملحقة بالغرفة واغتسلت سريعاً، ثم خرجت إلى المرآة
مجدداً، قزینت بقليل من مستحضرات التجميل لتخفي
شحوب وجهها، ثم صفت شعرها وارتدت ملابس
رياضية مريحة. استقبلها هشام بنظرة دهشة سرعان ما
تحولت إلى إعجاب ثم إلى عتاب وهو ينظر إلى فطورها
الذي لم تقربه. فابتسمت قائلة:

- قلت نفطر سوا.

ووضعت الصينية بينهما وبدأت تأكل. رن هاتف
هشام، ضغط زر الرد مجيباً:

- أهلاً أستاذة حنان.

....

- إحنا بخير الحمد لله.

....

- جنبي أهى.

أشارت له نانسي إشارة فهمها فأضاف:

- بتفطر، هتكلمك أول ما تخلص.

أنهى هشام المكالمة بالعبارات المعتادة، ثم سأل نانسي:

- فين موبايلىك؟ حنان بتحاول تكلمك.

- متيألي سييته في الأوضة.. هاكلها لما أطلع.

لاكت نانسي لقيماتها الأخيرة في بطاء ودعة بينما أخذ
هشام يتابع الأخبار على هاتفه المحمول، وزين يلعب مع
قطه الأثير.

وهي تتأملهم، في سعادة.

ورضا...

(17)

بوليصة التأمين!

هدأت الأجواء في بيت الأسرة الصغيرة. عاد هشام لحيويته واستردت نانسي توردها، وعادت السعادة تظلل أيامهم بلا تكدير.

ولكن...

يبدو أن القدر كان له رأي آخر!

دخلت نانسي على هشام غرفة المعيشة لتجده يتكلم عبر الهاتف قائلاً:

- إيه؟ تشريح! إيه؟

.... -

- عرفتي منين؟

.... -

- طب وهي عاملة إيه؟

.... -

- ها كلمها يمكن أقدر أساعدها في حاجة.

أنهى هشام المكالمة عاقداً حاجبيه وعلى وجهه أمارات التفكير العميق، لم تستطع نانسي كبح فضولها فسألته عن المتصل وفحوى المكالمة. أخبرها أنها أخته نجاة وقد نقلت

إليه خبر عسير التصديق، سيقومون بتشريح جثة معتز صديقه. كان معتز قد وقع على بوليصة تأمين على حياته بمبلغ كبير لصالح ولاء زوجته. وحينما طالبت ولاء بمبلغ التأمين طلبت الشركة الاطلاع على تقارير المستشفى ثم عادت الشركة فرفضت صرف مبلغ التأمين بحجة أن الوفاة كانت مفاجئة وملابسها غير طبيعية. وحينما سألتهم ولاء عن الإجراء المتبع في مثل هذه الحالات أخبروها أن عليها بالتقدم للنيابة العامة بطلب استخراج وخص للجنة للتأكد من أن الوفاة طبيعية.

- وهي وافقت جثة جوزها تشرح؟

سألته نانسي غير مصدقة ما تسمع، فأجابها بنبرة تشوبها السخرية المريرة.

- طبعاً وافقت.

ثم أردف:

- الموضوع طلع مش بسيط، أنا كنت فاكر معتز هنا في أجازة، طلع كان مترحل من شغله. إنتي عارفة موجة السعودة وتقليل العمالة الأجنبية هناك.

- بس معتز من أسرة غنية مش كدة؟

- المفروض، بس والده حرمه من الميراث من سنين طويلة بعد ما معتز عمل مشاكل في الشركة وكتب شيكات بدون رصيد للعملاء فاضطر والده يسدد مبالغ

كبيرة علشان يقفل القضايا دي ومن ساعتها وهو مقاطع معتز ومعتبره ميت. وكتب كل أملاكه باسم معتزة اللي بتديرها هي وجوزها من ساعتها. بعد وفاة معتز، معتزة قالت إنها هتصرف على ولاده ومش هتخليهم يحتاجوا حاجة، ووعدت تكتب في وصيتها إن الأملاك دي كلها تروحلهم بعد عمر طويل. بس ده ما كانش كفاية لولاء وأصرت على تشرح الجثة. والصراحة أنا ماقدرش ألومها، هي مالهش أي دخل تعيش منه ومعتز ماسابلهمش حاجة غير الديون والمليون جنيه مبلغ بوليصة التأمين.

نظر هشام إلى نانسي منتظر ردها، ولكنها كانت تنظر إلى الأمام شاردة.

- هاي... بتفكري في إيه؟

- صعبان عليا جثته تشرح، ماينفعش تكلمهم في شركة التأمين؟

- ماعتقدش ممكن، بس هاكلم ولاء وأتابع معاها.

همت نانسي بالقيام فاستوقفها هشام بقوله:

- حنان اتصلت بيا تاني تسأل عنك، إنتي ما كلمتيهاش؟

- موبايلى فيه مشكلة.

- ما قلتيش ليه؟ بكرة يكون عندك واحد جديد.

- استنى أجرب أمسح شوية صور وفيديوهات وأفضيه

شوية يمكن يشتغل كويس.

رن هاتف نانسي في هذه اللحظة فقالت:

- أهه شغال.

- مين اللي يتصل؟ مش هتردي؟

- دي هدى زميلتي من الشركة. هاكلها الصبح، مش

هاقدر أستحمل رغيبها دلوقتي.

قالتا نانسي وهي تطفى صوت الرنة، وتلقي برأسها على كتف هشام وتحتضن ذراعه. ربّت هشام على كتفها بحنان للحظة، ثم أمسك بهاتفه، وانخرط في متابعة أخبار السياسة والكرة.

لم تتضايق نانسي.. لم تشعر بالإهمال.. بل شعرت أنها تملك الدنيا بين ذراعيها لا يعنيا شيء، طالما هي في قربه. شددت من احتضانها لذراع زوجها وقالت لنفسها: لا يهمني أنه منشغل عني بفكره، طالما نحن متجاوران على ذات الأريكة فذلك يكفيني.

- إنتم هنا وأنا بادور عليكم؟ بتعملوا إيه؟

هتف بها زين الذي دخل عليهما فجأة يقلب نظراته

بينهما، أشارت له نانسي قائلة:

- تعالى اقعد جنبنا.

- أنا وبراوني...

قالها وانطلق يبحث عن قطه، ثم حمله بين ذراعيه وحشر

نفسه بين هشام ونانسي، فاحتضنته نانسي بعمق، بينما ربت هشام على رأسه بخنان دون أن يرفع عينيه عن الهاتف. حرك زين جسده الصغير يمينا ويساراً حتى اطمأن لاستوائه على الأريكة، ثم أسند رأسه وبدأ يغفو.

دخلت عليهم أم رضا تحمل صينية الشاي وما إن رأتهم متجاورين حتى هتفت بسعادة:

- الله أكبر عليكم... ربنا يحفظكم من شر العين وحاسد إذا حاسد.

أمنت نانسي على دعائها بنبرة عميقة خرجت من قلبها الملتهب بالظنون والمخاوف:

- يا رب...

بفعل فاعل!

فتحت أم رضا باب الفيلا مستجيبة لرنين جرسه المتواصل فدخلت نجاة تسأل في لهفة:

- هشام فين؟ فوق؟ هاطلعه.

أعقبت قولها بصعود الدرج سريعاً إلى غرفة المعيشة حيث وجدت هشام منهمكاً في العمل على حاسبه اللوحي فبادرته قائلة من وسط لهاثها:

- نتيجة التشریح ظهرت.. الوفاة حصلت بفعل فاعل.

- يعني إيه؟

- لقوا مادة غريبة في أمعاء معتز هي اللي سببتله المرض وبالتالي الموت. التأمين رفض يدفع المبلغ، وولاء هاتجنن.

امتقع وجه هشام على أثر المفاجأة:

- مش معقول!

لم تنتبه نجاة للشحوب الذي اعترى هشام،

- إنت عارف معنى النتيجة دي إيه؟ فيه حد سمّ معتز. قتله مع سبق الإصرار والترصد.

- نجاة.. إنتي ليه بتسبقي الأحداث؟ مش يمكن أكل أكلة مش مظبوطة اتحولت مع الوقت للمادة دي؟

قالها هشام محاولاً تهدئة المخاوف والشكوك التي تصاعدت في عقله.

- إيه اللي انت بتقوله ده يا هشام. إنت ناسي إني دكتورة؟ دي مادة كيميائية مش معروفة.. ماهياش أكل.

- مش قادر أصدق.. مين ممكن يعمل كدة في معتز؟

- ده استفسار بريء ولا تعليق ساخر؟

عقبت نجاة متهمكة على سؤال أخيها بنبرتها العملية الجافة، ثم أردفت:

- ميت حد ممكن يبقى عايز ينتقم من معتز. وأولهم ولاء مراته.

- ولاء!!

- المفروض إنت اللي عارف أكثر مني.. إنت صاحبه.

قالتها ساخرة ثم تراجعت عن هجومها قائلة:

- بص.. أنا مش عايزة أتهم حد بالباطل. ده شغل الشرطة. كل اللي باقوله إن فيه ناس كثير ممكن تكون عملت كدة في معتز.

- إسمعني قلتي ولاء؟

- علشان مبلغ التأمين الكبير في ضوء ظروف شغله... وكان الجواز اللي كان ناوي عليها ب..

قاطعها هاشم هاتفاً:

- هي ولاء كانت عارفة موضوع الجواز ده؟
- عرفت عن طريق الصدفة قبل ما أعراض المرض تظهر عليه بيومين. إنت تعرف إيه عن الموضوع؟
- معتز قالي إنه ناوي يتجوز عرفني من واحدة اتعرف عليها من ع النت. بس مش عارف لحق يتجوزها واللا لأ.
- لو كان اتجوزها، ماستبعدش ولاء تكون انتقمت منه وعلشان تاخذ فلوس البوليصه. أما لو ما كانش اتجوز فيمكن...
- إيه؟

- تكون العروسة هي اللي عملتها.. حسنت إنه يلعب بيها نخلصت عليه.

حرك هشام رأسه يميناً ويساراً ينفض عنه أفكار أخته غير المعقولة قائلاً:

- عيشتك في كندا خلت خيالك واسع قوي، مفيش ست مصرية تعمل كدة في جوزها وأبو ولادها. أطلقت نجاة ضحكة عالية وهي تقول:

- فعلاً طيب.. عموماً المباحث هتقوم بشغلها لكن بحكم خبرتي أأكد لك إن الموضوع ده مش هيعدي بسلام. في هذه اللحظة فُتح عليهما الباب ودخلت نانسي التي

لاحظت على الفور الأجواء المضطربة. أخذت تبدل نظراتها بين زوجها وأخته في فضول. انتهزت نجاة فترة الصمت لتعلن عن رحيلها. حاولت نانسي استبقاءها للغداء ولكنها اعتذرت لرغبتها المرور بصديقتها معتزة ومؤازرتها في محنة أسرتها قائلة إنها ستترك ابنتها ملك تلعب مع زين على أن تمر لاصطحابها لاحقاً. رحبت نانسي ببقاء الفتاة والفضول يلتهمها لمعرفة ما الذي كانا يتجادلان بخصوصه. حاولت الاستفسار من نجاة فتحججت باستعجالها وأحالت الأمر برمته إلى ملعب أخيها ثم رحلت مسرعة كما أتت...

الثور الهائج

دلفت ولاء إلى المقهى الخافتة أضواؤه تبحث بعينها
عن هشام حتى وجدته، فتوجهت إليه واستهلته بأسلوبها
الصاحب:

- مش فاهمة ليه نتقابل في كافيه وبيوتنا موجودة.

قام هشام من مقعده وأشار لها بالجلوس فهبطت بثقلها
على المقعد مردفة في ضيق:

- الناس تقول إيه!

- ناس مين يا مدام ولاء؟ عموماً ماتقلقيش مش هاخذ
من وقتك كثير.

أشاحت ولاء بيديها قائلة:

- خد اللي تاخده، المهم أقبض مبلغ التأمين.

جعل صوتها المرتفع وعبارتها نظرات المحيطين بهما تتجه
نحوهما في فضول فشعر هشام بالخرج وقال بنبرة سريعة
جادة:

- مدام ولاء، يظهر إنك مش مستوعبة الموقف، علشان
كدة طلبت أقابلك.

- موقف إيه؟ سواء معز مات أو إنتقتل، إيه علاقة ده

بمبلغ التأمين؟

- بفرض إن معترز إقتتل، ما سألتيش نفسك مين ممكن يكون القتاتل؟

- وأنا مالي.. ما يكون أي شخص.

لمحت الاستياء على وجه هشام فبادرته قائلة بنبرة فيها من الأسي ما لم يعتده منها:

- ماتستغربش كلامي.. أنا كنت عايشة مع معترز علشان العيال، إنما مفيش واحدة تستحمل إن جوزها عينه تبقى طول الوقت على غيرها. وزى ما إنت عارف، إحنا ماتجوزناش عن حب، ده كان جواز قرايب. وهو الله يرحمه ما كانش ييفوت فرصة إلا ويرميلي كلمة كدة واللا كدة يجرحني بيها ويفكرني إنه ما حبنيش.. ولا هيحبنى... تأمل هشام ذاهلاً، قناع النمرة الصاحب وهو يسقط، ليكشف عن عينين مزقتهما اللوعة، ووجه مهزوم لامرأة كسيرة الفؤاد.

صمت يبتلع المفاجأة، ثم لام نفسه، أية مفاجأة، إنها امرأة ولها قلب! تخنخ ثم تكلم بنبرة خرجت جشء رغباً عنه:

- آسف.

- ما تأسفش.. دي قسمتي ونصيبي...

- طيب يا مدام ولاء... لازم تعرفي إنه لو ثبت إن معترز

مات مقتول فأول حد هيشكوا فيه هو الشخص المستفيد من وفاته..

عاد القناع إلى مكانه باحتراف. اكتسى وجهها بالجمود وعاد الخواء إلى عينيها كأن شيئاً لم يكن. منحت هشام نصف ابتسامة باردة وانتظرت. سألها:

- مين المستفيد من بوليصة التأمين؟

للمرة الأولى منذ التقيا، ظهر تعبير مخيف على وجهه ولاء..
الرعب!

- قصدك إنهم ممكن يشكوا فيا أنا؟

زفر هشام قائلاً:

- للأسف... المسألة مابقتش مبلغ التأمين بس، أنا طلبت مقابلتك النهاردة علشان أنبهك لخطورة الموقف إكراماً لخاطر معتز. مهما كانت الخلافات بينكم الولاد مالهومش ذنب. خسروا والدهم ومافاضلهومش في الدنيا غيرك إنتي ومعتزة، بعد ربنا طبعاً.

ظهر الارتباك والتخبط على وجهه ولاء وهي تحاول استيعاب كلمات هشام وتليحاته.

- طب وأنا هاقتله ليه!؟

- علشان مبلغ التأمين.. علشان مش بتجيبه.. علشان كان عايز يتجوز واحدة تانية...

قال عبارته الأخيرة وهو يتفرس في وجهها مراقباً ردة فعلها، ولكنه لم يكن مضطراً إذ إن رد فعلها كان واضحاً للعيان.. من أول المقهى لآخره،

- بنت ال @\$%#@* كانت عايزة تخطف جوزي مني!
اهي دي اللي كانت تستاهل القتل مش هو.

صرخت بها ولاء بغلظة وشراسة عكست مشاعرها
المعتمة بداخلها.

تفاجأ هشام وحاول تهدئتها متوسلاً:

- وطي صوتك يا مدام أرجوكي علشان نقدر نكمل
كلامنا.

هدأت ولاء قليلاً، ولكن فتحتا أنفها ظلتا على أقصى
اتساع لهما كثور هائج محبوس في عنبر طليت جدرانها
بالأحمر.

- تعرفي إيه عن البنت اللي كان معتز عايز يتجوزها؟

لمعت عينا ولاء لسؤال هشام وكأنما وجدت ضالتها:

- تقصد هي اللي ممكن تكون قتلته؟

- ما قصدش حاجة.. ده مجرد سؤال.

- ما عرفش عنها حاجة غير اسمها.. رنا.. معتز كان
سايب موبايله للواد حمادة يلعب بيه فانتهزت الفرصة
أفتشه. لقيت بينها وبين معتز اتفاق على الجواز وكلام ثاني

ما يصحش أقوله. أقسمت له يمين بالله قدام معتزة أخته، إن ما كانش يقطع علاقته بيها لأهرب بالولاد وما يعرفلناش طريق جرة.

- كان إيه رد فعله؟

- معتزة أجبرته يحلف على المصحف قدامي إنه هيقطع علاقته بيها. صحيح معتز ما كانش يهيمه قسم ولا مصحف، بس أعراض المرض ظهرت عليه بعد يومين من قعدتنا دي. ما أظنش اتجوزها.

- طيب.. لو عرفتي حاجة ممكن تفيدنا أو احتجتي حاجة كليني على طول.

قام هشام عن مقعده تمهيداً للمغادرة، ولكنه لمح على وجه ولاء تردداً لم يعتده منها. جلس ثانية وهو يرمقها بنظرة متسائلة. حركت ولاء رأسها وكأنها تنفض عنها فكرة ما، سألها هشام:

- افكرتي حاجة؟

- مش متأكدة...

- مش لازم تكوني متأكدة، قوليلي ونفكر سوا.

- ميادة بنتي الكبيرة... قالتلي حاجة غريبة.

ظل نظر هشام معلقاً بوجه ولاء بانتظار ما ستصرح به،

- قالتلي إن حماي الله يرحمها كان عندها نفس

الأعراض اللي كانت عند معتز قبل ما تموت.

- إيه؟

(20)

أم معتر!

أغلق هشام باب غرفة المعيشة خلفه وقال لنجاة بهدوء:

- نانسي خدت زين النادي.. نقدر نتكلم براحتنا.

- خير؟ مكالمتك قلقتني؟

- عرفت من ولاء إن مامة معتر ماتت بنفس الطريقة.

اتسعت عينا نجاة على إثر المفاجأة التي فجرها أخوها، ثم
تمالكت نفسها وسألته:

- ولاء كانت مسافرة وقتها، عرفت إزاي؟

- ولاء كانت مسافرة فعلاً، بس لما الولاد خلصوا
امتحانات آخر السنة، معترزة طلبت منهم يبعثوا ميادة وشهد
مصر يقعدوا معاها لحد ما يخلصوا إجراءات الخروج النهائي
ويع العربية والعفش والذي منه...

- أيوة؟

- البنيتين كانوا بيتنقلوا بين بيت معترزة وبيت جدتهم اللي
كانت عايشة لوحدها.

- صحيح... معترزة كانت شبه مقاطعة والدتها بسبب
معايرتها ليها بعدم الخلفة. سبحان الله، الست دي ما فيش
حد اترحم من لسانها حتى بنتها.

- حسب كلام ولاء، ميادة كانت قاعدة عند جدتها لما تعبت فاتصلت بمعتزة اللي راحتهم ولقت مامتها بتشتكي من إسهال وترجيع جامد، فطلبتهلها حقنة ترجيع من الصيدلية وعملتها أكل ووصت عليها ميادة. بعدها بيومين، ميادة اتصلت بمعتزة في نص الليل بتعيط وبتقول إن جدتها مش قادرة تتحرك ووشها لونه يخوف. معتزة وجوزها جريوا عليها لقوها شبه خلصانة. طلبوها الإسعاف، ويادوبك على ما وصلت المستشفى، ماتت.

- سبب الوفاة كان إيه؟

- مش متأكد من السبب اللي اتكتب في شهادة الوفاة، لكن ماحدث شك إن الوفاة ممكن تكون مش طبيعية بسبب سنها الكبير وأمراضها المزمنة. لحد ما ميادة قالت إن ظهر عليها نفس الأعراض اللي ظهرت على معتز قبل موته.

- ميادة طفلة ماحدث هياخد بكلامها.

- علشان كدة باقولك، كلبي معتزة واسألها على الأعراض اللي كانت عند مامتها.

أومأت نجاة برأسها ثم صممت وكأنها نتذكر شيئاً قبل أن تسأل هشام:

- هو مش كان فيه شغالة معاها في البيت؟

- قولي شغالات.. ما إنتي عارفاه، كانت صعبة

وماحدث يبسلم من لسانها وطلباتها ما بتخلصش ومفيش حاجة بتعجبها. طفشت منهم كثير، وحسب كلام ولاء، الشغالة الأخيرة دي مشيت قبل ما أعراض المرض تظهر، يعني ما شافتش حاجة. يمكن الاختلاف الوحيد بين الوفايتين إن معتز عانى من الأعراض كذا يوم قبل ما يموت أما هي فيادوبك يومين وماتت.

- ماتنساش فرق السن والصحة، أكيد جسمها ما قدرش يقاوم تأثير السم كثير زي جسم معتز.
اقتحم عليهما زين غرفة المعيشة في حيوية وهو يهتف:
- دادى أنا جيت.

ودخلت وراءه نانسي في هدوء. حضنت نجاة زين وقبلته عدة قبلات ثم وقفت قائلة:

- معلش لازم أمشي، إنتم عارفين ملك مجناني بمشاورها.

خرجت نجاة فسألت نانسي زوجها في فضول:

- إيه الموضوع؟

- ماتشغليش بالك، اقعدى عايزك في موضوع.

*

في اليوم التالي، تلقى هشام مكالمة من نجاة:

- أنا مش فاهمة حاجة.. كلمت معتزة قالتلي إن كلام

ميادة كله تأليف وخيال أطفال وإن اللي حصل لمامتها
مالوش أي علاقة باللي حصل لمعتز.

- كويس قوي، أومال إيه اللي مضايقتك؟

- إنت ما تعرفش ولاء عملت إيه؟

- خير؟

- وكلت محامي وكلفته يقدم طلب استخراج جثة طنط
الله يرحمها وتشريحها بحثاً عن آثار المادة اللي لقوها في جسم
معتز الله يرحمه. معتزة طبعاً غضبانة جداً وشايفة إن ده
انتهاك لحرمة الموت. هتجنن وهي شايفة ولاء مش هاعمها
غير الفلوس.

- المسألة مش فلوس بس. ماتنسيش إن ولاء مشتبه بيها
في قتل جوزها.

- اهاا.. معاك حق، لو ولاء قدرت ثبت إن حماتها
ماتت بنفس الطريقة وقت ما هي كانت مسافرة هتثبت
براءتها.

- بالظبط. كان لازم تعمل كدة.

- طيب.. أنا هاعدي على معتزة وأحاول أهديها.. ولو
إنك عارف رأيي في الحاجات دي.. لا يضير الشاة سلخها
بعد ذبحها والحلي أبقى من الميت.

ابتسم هشام وهو يقول:

- عارفك طبعاً، والعيشة ف كندا كان جمدت قلبك
أكثر، بالراحة على الست لحسن مش أي حد هيتفهم
وجهة نظرك العملية دي.

- ماتقلقش يا سيدي.. سلام.

نتيجة التشریح

انتهت نانسي من تحميم زين فذرته بالمنشفة وأخذته إلى غرفته، وألبسته منامته تمهيداً لوضعه في الفراش إلا أنه أصر على اللعب بألعابه قليلاً قائلاً:

- روجي إنتي اقعدي مع دادي وآنتي نجاة، ولما أخلص لعب هاجيلك علسان تحكي حكاية قبل النوم.

استسلمت نانسي لرغبته فركته واتجهت نحو غرفة الجلوس التي كان بابها موارباً، فسمعت حديثاً هامساً:

- هشام، لازم نبغ البوليس بالكلام ده.

- ماقدرش يا نجاة.

- يعني إيه ماتقدرش؟ مفيش مجال خالص لطيبة قلبك دي دلوقت، طالما نتيجة التشریح أثبتت إن مامة معتز ماتت بنفس الطريقة، يبقى البوليس لازم يعرف اللي إحنا عارفينه.

- إنتي متأكدة إن النتيجة صحيحة؟ مش المفروض الجثة اتحللت خلاص؟

- هشام، مش عايزة مقاوحة.. لقوا آثار من المادة مترسبة على العضم.

قالتها نجاة بنبرة حاسمة يشوبها الغضب.

- نجاة، أنا مش عارف أفكر كويس.. إديني فرصة
لبكرة.

- مفيش وقت، على بال ما سيادتك تفكر ممكن هي
تختفي، ساعتها هنعمل إيه؟ فيه اتنين اتقتلوا يا هشام،
الموضوع مش هزار.

- بس أنا متأكد إنها لا يمكن تعمل حاجة زي كدة،
وبعدين ده فات وقت طويل قوي.

- هشام... دي حاجة مانتنسيش مهما فات عليها الزمن..
أنا زيك على فكرة، بحبها وعايزاها تطلع بريئة بس دي
شغلة البوليس مش شغلتنا. وبعدين إنت مش خايف؟
بالذات بعد اللي قالته شهد لما شافتها يوم ما عزمتمهم..
ولاء حكيت لي.. إنت إزاي ما قتلش؟

- مين قال إيه؟ أنا مش فاهم حاجة!

اشتعل الفضول في جوف نانسي مع العبارات الأخيرة
فقربت رأسها أكثر من فرجة الباب كي تسمع بوضوح،
إلا أنها انتهت على صوت خطوات أم رضا صاعدة السلم.
ابتعدت نانسي مسرعة بينما ظهرت أم رضا في أول
الرواق ويدها صينية الشاي فطرقت الباب ودخلت،
وراءها دخلت نانسي.

*

انقطع الحديث على أثر دخول نانسي، وظل الجميع

يتبادلون الابتسامات في صمت قطعه أم رضا بقولها:

- اتفضلوا الشاي والكيك.

أتبعت عبارتها بتقديم لكل منهم فنجانه مع طبق به قطعتان من الكيك الإنجليزي العامر بالفواكه المجففة، والذي لم يعد متاحاً في السوق بهذه الجودة، بينما ظلت أم رضا تصنعه ببراعة منقطعة النظير.

أخذت نانسي الفنجان واعتذرت عن الكيك، فنظرت لها أم رضا نظرة ذات مغزى ثم قالت:

- أستاذ هشام، عايزة أشتيكك من مدام نانسي، مش بتاكل خالص اليومين دول.

نظر هشام لنانسي مستفسراً،

- علشان الدايت، كل شوية أم رضا تجيلي حاجات بتطخن، أنا زايده 2 كيلو من ساعة ما اتجوزنا، يرضيك؟

لوت أم رضا شفيتها في عدم اقتناع وخرجت، بينما شردت نانسي تفكر فيما سمعته سابقاً وتساءل، ترى من هي المقصودة بكلام هشام ونجاة!؟

*

مرت ساعات المساء المتبقية سريعاً، حتى استقر هشام بجوار نانسي في الفراش، تأمل وجهها على غير عادته ثم سأها:

- نانسي.. أم رضا معاها حق، وشك دبلان. مالك؟

- الدايت زي ما قلتك... وكان رجعت ألعب رياضة
فرهقة شوية، ماتقلقش عليا، يومين وهابقي زي الفل، أنا
قلقانة عليك إنت.. ومنك.

تفاجأ هشام بعبارتها الأخيرة فسألها متوجساً:

- ليه.. مالي؟

- إنت اتغيرت.. مابقيتش هشام اللي أنا وقعت في حبه
واتجوزته.

ضحك هشام،

- إيه الدراما دي؟

زمت نانسي شفيتها وهي تقول في جدية:

- كل ما أدخل عليك ألاقك سرحان، أو بتتوشوش مع
نجاة.

- على سيرة نجاة، إيه رأيك تيجي تقعد معانا كم يوم هي
وملك قبل ما يسافروا؟ حتى علشان زين يلحق يشبع منهم.
- زي ما تشوف.

- إنتي اتضايقتي؟

- لا أبداً، إنت ونجاة مع بعض طول اليوم، يا إما هنا في
البيت يا إما مع التلفون. فمش هتفرق لو جت.

- لو كان الموضوع هيضايقتك بلاش.

- مش هي كام يوم وهتسافر خلاص؟ واللا إيه؟

قالتها بلهفة حاولت أن تخفيها وحمدت الله أن هشام لم ينتبه إليها إذ ابتسم برضا، ومد يده لجهاز التحكم، فتح التلفاز، ولم تكد تمر دقائق حتى غاب في النوم. تأملته نانسي وقد تصاعد في جوفها تساؤل حائر، لماذا باتت تشعر بالغبطة؟ ماذا يخفون عنها، ولماذا؟ ونجاة التي ستأتي للإقامة معهم لتسلبها أرضها وأحباءها! هل بدأت الحياة تضيق من حولها؟ أم يهياً لها؟ هل بدأت سعادتها تتصدع؟ همست لنفسها مطمئنة:

- مش هيحصل.. أنا بحبهم وهم يحبونني.. نجاة هتمشي
وهنرجع تاني إحنا الثلاثة بس.

ارتسمت على وجهها ابتسامة ناعمة وانسدل جفناها.
ونامت.

(22)

أم رضا

اجتمعت الأسرة على طعام الإفطار، وقد أعدت لهم
أم رضا ما لذ وطاب من أطيب الفطور المصري، بينما
خبزت لهم نانسي فطائرها الشهية المحشوة بالسبانخ مع
البصل ودبس الرمان.

نظر هشام لزين الذي كانت تبدو عليه السعادة الخالصة
والثقة بالنفس وهو مجاب الطلبات، محاط بالأحبة على
السفرة العامرة بالدفء.

قطعت أم رضا جلستهم قائلة:

- مدام نانسي، فيه واحدة اسمها هدى عبد الغني عايزاكي
على التليفون.

- مش دلوقتي يا أم رضا، قوليلها هاكلها بعدين.

- أصلها الصراحة اتصلت كذا مرة وأنا نسيت أقولك.

تدخل هشام في الحوار معلقاً:

- بقيتي بتنسي كثير اليومين دول يا أم رضا، إيه
الموضوع؟

حدجته نجاة بنظرة ذات مغزى، فقالت نانسي منهية
الأمر:

- تسلم إيديكي يا أم رضا، الشاي والقهوة بعد إذنك.

انتهوا من فطورهم وانتقلوا إلى الحديقة، وتبعتهم أم رضا بالمشروبات. اقتربت من مجلسهم فتعالى صوت اصطكاك الأكواب على الصينية، حاولت أم رضا السيطرة عليه دون جدوى. سألتها نجاة:

- إيدك بتترعش كدة ليه؟

- تعب بسيط وهيروح لحاله.

- حطي الصينية وروحي ارتاحي وأنا هاجي أكشف عليك عشان نطمئن.

قاطعها زين قائلاً بنبرة حانقة:

- كدة هنتأخر يا دادي.

- ماتقلقش يا زين.. روحوا اجهزوا انتم على بال ما أكشف عليها. أنا جاهزة أهه.

تفحصها زين بنظراته الطفولية ليتأكد من ارتدائها لكامل ملابسها حتى الخداء، ثم أوما برأسه موافقاً، وبدأ يجذب نانسي من يدها كي يذهبها للاستعداد فاستجابت له. أنهت نجاة فنجانها وتوجهت نحو جناحها فأحضرت جهازي قياس الضغط والسكر اللذين لم يفارقا غرفة والدتها حتى بعد وفاتها، وتوجهت بهما إلى غرفة أم رضا...

دلفت نجاة إلى الغرفة، فطالعتها صورة رضا في إطارها البسيط بجوار الفراش. اقتربت منها، وتأملتها.. حماس يطل

من العينين وابتسامة تسع الدنيا بأسرها. تمتعت في أسى:

- خسارة.

أثاها صوت أم رضا من ورائها تقول بحرقه:

- منه لله اللي كان السبب، حرق قلبي وحرمني من
ضنايا، بس يمهمل ولا يمهمل.

ربت عليها نجاه مهدئة وعقبت في هدوء:

- ونعم بالله، اقعدني علشان أكشف عليك.

انصاعت لها أم رضا ورفعت بآلية كم جلبابها حتى أعلى
ساعدها. أنهت نجاه الكشف سريعاً، نحت الأجهزة جانباً
ونظرت في عيني أم رضا وقالت بنبرة جادة:

- ضغطك عالي، والسكر كان. إيه الحكاية؟

- مفيش حاجة يا ست نجاه، يعني هيكون فيه إيه؟

- مش عايزة تقوليلي حاجة؟

- هاقول إيه بس؟ دي حاجات ما تتقالش.

اتسعت عينا نجاه وهي تسألها بنبرة حذرة:

- خير؟

تلفتت أم رضا حولها، انتظرت نجاه في صبر ما ستسر لها
به، قالت أخيراً بصوت خافت:

- البيت فيه حاجة مش تمام... اللهم احفظنا..

- أفندم؟

نبرة الاستنكار التي تفشت في كلمة نجاة جعلت أم رضا
تشيح بيدها قائلة:

- شفتي، مش قلتك حاجات ما تتقالش، أهه حضرتك
مش مصدقاني، بس وكّاب الله فيه حاجة في البيت ده
اللهم احفظنا، فيه شر كدة أنا حاسة بيه.

طقطقت نجاة بلسانها ولم تعلق. أخذت تصفّ الأجهزة
ومشتملاتها بداخل عليها المخصصة في صمت، ثم قالت
باقتضاب:

- خير إن شاء الله، المهم حافظي على صحتك.

قالتها وخرجت، وما إن أصبحت خارج الغرفة حتى
زفرت ورفعت عينيها إلى السماء في يأس.

(23)

تحت الشمس

فتح هشام باب الراكب المجاور للسائق لنانسي، فأشارت
لنجاة قائلة:

- اقعدي إنتي قدام يا نجاة.. أنا بحب أقعد ورا جنب
زين.

أرادت نانسي أن تترك لهما حرية الحديث معاً، غير
أن هشام ظل صامتاً طيلة الطريق، حتى وصلوا إلى
مبتغاهم... النيل.

كانت نجاة قد باحت قبل عدة أيام باشتياقها للنيل،
فاقترح هشام أن يتناولوا طعام الغداء في أحد المطاعم
المطلّة على النيل، ولكن نجاة اعترضت قائلة:

- لا، المطاعم دي بيبقى بينها وبين النيل سور، أنا نفسي
استمتع بيه مني له.

- طب إيه رأيك تتغدى في باخرة على النيل، بتبقى رحلة
ساعتين.

بدا على نجاة عدم الاقتناع فاقترحت نانسي:

- ممكن ناخذ فلوكة في النيل، إيه رأيكم؟

تهلل وجة نجاة، فاعترض هشام قائلاً:

- فلوكة مش أمان للولاد.

- ماتخافش على زين كلنا معاه، وبطل قلقك الزيادة ده هو مابقاش صغير.

انصاع هشام مرغماً على رغبة نساء بيته.. وهكذا اتفق الجميع على الانطلاق صوب النيل بعد فطور يوم السبت مباشرة.

وصل هشام إلى فندق «جراند حياة» المطل على النيل، وظل قرابة النصف ساعة يبحث في الشوارع الجانبية عن مكان مناسب لركن السيارة، فلما لم يجد، قام بركنها في مرآب الفندق، وترجلوا جميعاً باتجاه شط النيل.

مشوا بمحاذاة السور وبعد عدة أمتار هتف هشام:

- هنا.. عم دقدق.

وأشار لمدخل صغير تنبثق منه درجات إلى الأسفل،

- هو ده عم دقدق؟

سأل زين وهو يشير لمراكبي عجوز.

ضحك هشام قائلاً:

- ماعرفش المراكبي ده بالذات اسمه إيه، المكان اسمه مراكب عم دقدق، كنت باركب من هنا أنا وأصحابي أيام الجامعة.

نزلوا السلام معاً ثم انفصل عنهم هشام ليتبادل مع

المراكبي بضع كلمات، أشار لهم على أثرها أن يقتربوا. توجه بهم الرجل نحو أحد المراكب، فتلفت زين منهم باتجاه فلوكة زرقاء صغيرة ذات سقف من القماش الأبيض. استحسنت نجاة اختيار زين لوجود المظلة الشمسية. ساعدهم هشام في الركوب بيده ثم قفز إلى الفلوكة ورائهم، استرخوا جميعاً على الدكك الخشبية المغطاة بمخدات قطنية منجدة. أخرجت نجاة أنوباً من حقيبتها وبدأت تدهن منه على وجهها ويديها ثم نادى على ابنتها قائلة:

- ملك. حطي صن بلوك وإلا بشرتك هتتحرق، وحطي لزين كان.

أطاعتها ملك في ضجر واضح، فتجاهلتها نجاة موجهة كلامها لنانسي:

- وإنتي يا نانسي، مش عايزة؟

- لا شكراً يا نجاة. أنا بحب الشمس.

قالتها نانسي بابتسامة وهي ترمي برأسها إلى الورا وترفع ذقنها إلى السماء لتغمرها أشعة الشمس التي انعكست عن شعرها الذهبي وعينيها الزمرديتين لتزيدهما جمالاً وألقاً.

اقربت ملك منها وسألتها:

- لون اللينسر بتاعة حضرتك حلو قوي، بالذات في الشمس، هي ماركة إيه؟

التفت إليهما هشام ثم سأل نانسي مدهوشاً:

- نانسي.. إنتي بتلبسي عدسات؟

- إنت مش عارف لون عينين مراتك يا هشام؟

سألت نجاة، فارتبكت نانسي وهي توضح:

- ما جاتش فرصة أقولك، أصلها عدسات شهرية، مش باحتياج أغيرها كثير.

ألقت نجاة بنظرة استهجان على نانسي فوجدت ملامحها قد انطفأت وبهت ضي عينها الزمردية، فأشفقت عليها من الإحراج وقالت متداركة:

- بس برافو عليكى منقية لون حلو قوي لايق على شعرك وبشرتك.

سألته ملك عن الماركة فأخبرتها إنها نوع إيطالي غير معروف، وانخرطتا معاً في حوار عن العدسات الملونة وأنواعها؛ تلك التي تسبب الجحوظ، وأخرى ألوانها طبيعية ولكنها تسبب جفاف في العين. وبينما الجميع منتبهون للحديث الدائر، لم يلاحظ أحد زين الذي كان يحاول مس الماء بيده!

مالت الفلوكة فجأة فصرخت نانسي:

- زين.

قفزت نحوه ممسكة به من ملابسه بينما قفز هشام نحوها

فاحتضنهما في اللحظة المناسبة والمراكبي يقول بصوته
الجمهوري ولكنته الصعيدية:

- حصل خير، ماتلقوش، ده كان لانش معدي
والموجة بتاعته ميلت الفلوكة، المهم تبقوا متوزعين ع
الجنيين، بلاش تتجمعوا على جنب واحد.
- ارجع بنا يا رس. كفاية كدة.

أرادت نانسي الاعتراض، ولكن نظرة منها إلى وجه
هشام الغاضب أسكتها. وحدها نجاة التي تكلمت:
- ماحصلش حاجة يا هشام، زين بخير الحمد لله،
ماتيوّظش الخروجة.

وكأنما كانت عبارتها هي الإشارة. انقض كل من زين
وملك على هشام يرجونه حتى انفرجت أساريره أخيراً
ووافق على استمرار الرحلة، فعادت الابتسامات للوجوه،
واحتضنت نانسي الشمس بعينها مجدداً. أخذت نجاة
تأمل صفحة النيل التي انعسكت عنها أشعة الشمس
فظهرت المياه مضيئة كالبرق، تخفت موجة فتبع وراءها
موجات...

لم تنفك نجاة عن سؤال المراكبي عن الأبنية التي تمر بها
الفلوكة على الجانيين، إذ إن غيابها الطويل عن مصر جعل
أيدي التغيير تطال الكثير من المعالم المطلّة على النيل.

- مش ده فندق الميريديان؟

- ده كان زماااان. وبعدين اشتراه شيخ سعودي وسماه جراندي حياة ومنع فيه الخمر، جوم حاربوه لحد ما خسر واضطر يقفل جزء منه، ما هو المبني القصير اللي جنبه ده تبعه، بس مقفول، إنما لساه المطعم الدوار اللي فوق شغال، مرة كان شيخ كويتي نازل فيه، وكنت باخده كل ليلة فسحة بالفلوكة، وفي ليلة نسي حاجات له فدخلت الفندق أسأل عليه، خلاني أطلعله على المطعم الدوار، هيه، شفت من فوق مصر اللي عمري ما شفتها، ليهم حق يحبوها، أصلها من فوق حلوة قوي، غير من تحت خالص! ضحكت نجاة، ثم أشارت لمبنى فاره تبدو عليه الحداثة، يحتل جزءا لا بأس به من النيل لحسابه، وسألته:

- والقصر الجديد ده، بتاع مين؟

- بتاع ده إبراهيم حمدي، جراح القلب المشهور.

لم تكن نجاة واثقة في صحة معلوماته وما يقول، لكنها كانت مستمتعة بالكلام معه، وسماع لهجته الصعيدية الأصيلة.

جلست نانسي صامته تتأمل في هدوء، وهشام يلاعب زين، وملك في عالمها الخاص على هاتفها المحمول، تلتقط لنفسها لقطات «السيلفي» حتى ملأت بها صفحة الانستجرام الخاصة بها وقد انهمرت عليها التعليقات من صديقاتها غير المصريات منبهرات بروعة النيل وجمال الصور.

وبين هذا وذاك، انقضت مدة الرحلة. وبدأ المراكبي يلف دفة المركب في الاتجاه الآخر، وسرعان ما وجدوا أنفسهم على الشاطئ مرة أخرى.

- أنا جعاًااان.

سأل زين في لهفة، فاقترحت نجاة:

- إيه رأيكم زروح الحسين وناكل كباب وكفتة في المطعم بتاع خان الخليلي؟

- لو مشويات يبقى مفيش غير الرفاعي، كبابجي السيدة.

- أحلى من بتاع الحسين؟

- أروع ريش في الوجود، بس قعدته على قدها.

رفعت نجاة كفها قائلة في حسم:

- مش مهم المكان... المهم الأكل.

العشاء الأخير

وقفت نجاة مستندة بكفيها إلى منضدة خشبية متهاككة،
تنظر حولها في ذهول...

حارة ضيقة، تراصت فيها موائد خشبية ومعدنية
متواضعة، تمرح تحتها الققط السمينة في أريحية تامة، وقد
امتزجت رائحة الضأن مع روائح العوادم والغازات في
مزيج مثير للغثيان.

لم ينتبه هشام لذهول نجاة وهو يقترح الموائد المختلفة
قائلاً:

- نقعد هنا؟ لا المتوسيكلات بتعدي والعام هيضايقنا..
الترابيزة دي كويسة.. ولا هتضايكم ريحة اللحم النية؟
اشمازت ملاح نجاة رداً عليه، فأشار إلى مائدة أخرى
قائلاً:

- هناك، دي مناسبة.. إيه رأيكم؟
قاطعته ملك وهي تغلق أنفها في قرف لم تحاول مداراته:
- مفيش صالة مغلقة؟

- فيه.. بس حلاوة الرفاعي في المكان المفتوح.
قالها وتوجه نحو إحدى الموائد قاطعاً بجلوسه عليها أية

اقتراحات أخرى. فتبعه الآخرون وجلسوا على المائدة في صمت.

انتظرت نجاة قليلاً ثم سألت في استسلام:

- مش هيجيبوا المنيو؟

ضحك هشام قائلاً:

- إنتي شايفة المكان حوالكي يدي على منيو؟

أتاه أحد الشباب العاملين في المحل سائلاً في سرعة:

- أوامرك يا باشا؟

- عايز كيكو ونص مشكل، واتوصى بالريش، ونص سبجق

مشوي، ونص نيفة، وهات ويسكي للكل.

انتفضت نجاة على إثر عبارته قائلة:

- ويسكي! إيه اللي انت بتطلبه ده يا هشام؟ من إمتي

وانت بتشرب؟

- ماتقلقيش يا مدام، مش اللي بالك فيه... عينيا ليك يا

باشا، وكل سنة وانت طيب.

قالها العامل وهو يرص بآلية وسرعة أطباق صغيرة من

«الميلامين» على المائدة. امتعضت نجاة من الجوب بأكله،

- ملك إيديني وايبس أمسح بيها التراييزة.

عاد العامل بصينية كبيرة أخذ يوزع منها أطباق السلطة

الخضراء والطحينة على المائدة، أتبعها بأكواب بلاستيكية مليئة بسائل وردي تطفو على وجهه أشياء، وعالقة به أشياء، وتستقر بأسفله أشياء أخرى!

- الويسكي يا باشا.

- إيه ده!

سألت نجاة وقد انعقد حاجباها مع أنفها في علامة قرف مميزة...

- جرييه.

حشا هشام وهو يرتشف من الكوب رشقات صغيرة.

- مامي... آكل من السلطة؟ سألت ملك والدتها في تردد،

- كلي يا ملك يا حبيبي وماتقلقيش. أجابها هشام بالنيابة عن نجاة.

بدأت ملك تغرز شوكتها في السلطة وتأكل، ثم قالت في استحسان:

- امم لذيذة... جرييها يا مامي...

رفع هشام الكوب قائلاً:

- دي بقى مية السلطة، حرشة ومشطشة وأحلى من السلطة نفسها.

قربت نجاة الكوب من أنفها واشتمته، انفرجت

أساريرها قليلاً، رشفت منه رشفة، وطققت بلسانها متذوقة، ثم ظهر على ملاحظها التلذذ والإعجاب. اقرب العامل بصينية كبيرة لتصاعد منها رائحة الشواء وبدأ يوزع الأطباق على المائدة. وامتدت الأيدي...

- مم... دي بتدوب في البق، عمري ما دقت في حياتي ريش بالحلاوة دي، حتى العضمة بتاعتها تتممص من حلاوة التبيلة.

قالتها نجاة وقد لمعت عيناها وفارق وجهها كل امتعاض لتحل محلها متعة الطعام اللذيذ.

- وإيه ده؟

سألت وهي تشير إلى طبق به شرائح دقيقة من اللحم على فرشة من البقدونس الأخضر.

- دي نيفة، أطعم لحمة على وجه الأرض، لازم تدوقها.

- دي مليانة دهون. قالت نجاة بتشكك.

- جريبها.

حشا هشام بنبرة مغرية لم تستطع مقاومتها فأخذت قطعة صغيرة بالشوكة وقضمتها بحذر ثم هتفت:

- إيه ده! إزاي طرية ومستوية وبتدوب كدة في البق..

- الكفتة كان حلوة قوي يا مامي، ممكن تعملي

ساندوتش كفتة بالسلطة.

- حاضر يا حبيبي، وانت يا ززن أعمك زي ملك؟
كان زين مشغولاً بقضم إصبع كفتة ضخم فلم يرد. اتبه هشام لصمت نانسي فسألها:

- ساكتة ليه يا حبيبي الأكل مش عاجبك؟

ردت نانسي بصوت أجش من طيلة السكوت:

- أبداً يا حبيبي باسمعكم، إنما بالعكس الأكل جميل جداً جداً، الكباب كان مستوي حلو قوي.

استمرت نجاة في التعليق على كل صغيرة وكبيرة، استقبل هشام تعليقاتها بالضحك تارة وبالردود التفصيلية تارة أخرى. تأملتهما نانسي، برغم الفروق الشخصية الواضحة بين نجاة وهشام إلا أن بينهما تفاهماً وتناغماً لا تخطئه العين، ولا القلب. شعرت بغصة في قلبها وتمنت لو كانت لديها علاقة أخوة بمثل هذا الترابط.

انتهوا من الطعام ولم يتبق إلا القليل في الأطباق، فطلب هشام البقية قائلاً:

- علشان أم رضا...

ثم اقترح أن يشربوا شيئاً بالنعناع، فوافقوا بالإجماع. وبعد الشاي اقترح عليهم قائلاً:

- الحلو بقى سويا من عند الرحمانى.

ردت عليه نجاة:

- مش باحب السوييا.

- جربتيها؟

- أيوة. العصير الأبيض المسكر اللي يبتباع في رمضان.

- لا دي مختلفة، أقرب للمهلبية.

دفع هشام فاتورة الطعام وقام بتوزيع البقشيش على العمال بسخاء، ثم قاد أفراد أسرته من حارة الرفاعي الضيقة إلى شارع السيدة. وصلوا عند الرحماني، ووقفوا يتذوقون السوييا، لم تستهوههم «السوييا المززة» التي اعتبرتها نجاة بمثابة «زبادي حمضان»، أما السوييا الحلوة العامرة بشرائح جوز الهند، والمغطاة بطبقة من القرفة الطازجة فقد حازت على إعجاب الجميع، واشترى منها هشام لأم رضا أيضاً.

وصلوا المنزل وقد اقتربت الساعة من العاشرة، نادى هشام على أم رضا لكي يعطيها عشاءها، لم يأتها ردها فقالت نانسي إنها ربما تكون قد نامت. ولكن نجاة ذهبت صوب غرفتها وطرقت الباب فلم يأتها رد، توقعت أن تكون نائمة، ولكنها سمعت همهمة وهي تبتعد عن الباب، فعادت وفتحته لتجد أم رضا منكبة على سجادة الصلاة تبكي وتنهنه.

- أم رضا...

هتفت نجاة بصوت خافت.

توقفت أم رضا فوراً عن البكاء وقامت من السجود
فأنهت التشهد وسلّمت سريعاً، ثم وقفت وهي تمسح
دموعها في طرحتها.

- محتاجة حاجة يا ست نجاة؟

سألها أم رضا مغالبة غصة في حلقها، وقبل أن تجيبها
نجاة دس هشام رأسه من الباب قائلاً:

- إنتي صاحية؟ تعالي كلي، كباب وكفتة وسوييا...

تفاجأ هشام بانفجار أم رضا في البكاء على أثر عبارته.
تساءل في جزع:

- فيه إيه؟

أجابته أم رضا من وسط دموعها:

- الحاجة وفاء الله يرحمها، قبل ما تموت بكام أسبوع،
خرجتم برضه ورجعت جاييالي كباب وكفتة، ودخلت عليا
نفس الدخلة دي كدة بالليل بوشها المنور.

- إنتي لسة فاكرة!

- لا يمكن أنسى، الحاجة وفاء أفضالها مغرقاني.

- دادى.. دادى.. تعالي بسرعة.

تعالي صوت زين وهو يقترب قائلاً:

- نانسي بترجع جامد.

ظهرت الجدية فجأة على ملاح نجاة وهي تهتف:

- بترجع!

ثم حدثت هشام بنظرة حادة، امتزج فيها اللوم مع القلق، وهي تقول له بلهجة ذات مغزى:

- مراتك بترجع يا هشام!

مشتبه فيها!

تمددت نانسي على فراشها في إرهاق بعد أن سكت القيء عنها، نتأمل الجمع الملتف حولها. نظرت إلى وجوههم القلقة ثم قالت بابتسامة مرهقة:

- ماتلقوش علياً يا جماعة، أنا كويسة، يظهر تقلت في الأكل، وأكد بعد الدايت، الدهون اللي في أكل النهاردة تعبتني.

- أقطع دراعي إن ما كنتي حامل يا مدام نانسي.
قالتها أم رضا بلهفة، ظانة منها أنها تبشرهم بالخير الغائب عنهم.
ولكن...

تغير وجه نانسي، عضت على شفها السفلى ولمعت عيناها بدموع خفية فأشاحت بوجهها عنهم، بينما حدج هشام أم رضا بنظرة لوم. أما نجاة، فقد كسا الشك ملامحها!

تراجعت أم رضا بظهرها في نجل حتى خرجت من الغرفة وذهبت حيث تستأنف صلاتها ودعاءها. وخرجت نجاة أيضاً. توجهت إلى غرفة المعيشة وأضاءت المصباح الجانبي، وجلست على الأريكة تفكر.

أما هشام، فقد جلس بجوار نانسي على الفراش،

واحترضها قائلاً على استحياء:

- قلقان عليكِ، إيه رأيك عملي اختبار الحمل السريع
علشان نطمئن.

- إنت عارف إني مستحيل أحمل، ليه مصرين تعذبوني!

هتفت بها مغالبة الدموع التي بدأت تسيل من عينيها.

- أنا عايز أطمئن عليكِ، علشان لو مش حمل، نروح
لدكتور ونعمل فحوصات.

- إنتم مكبرين الموضوع، شوية تعب في معدتي وخلاص.
اللي أنا فعلاً محتاجاه هو إني أحس بيك جنبي ومعايا..
بس إنت مشغول... بعيد.

- أنا جنبك أهه ومفيش حاجة تقدر تفرقنا.

قالها ثم أطرق برأسه للحظة قبل أن يردف:

- عارف إن وجود نجاة موترك.. وإحنا نعتبر لسة
عرسان جداد مالحنناش نتهنى بيععض، ماتقلقيش، هي
قربت تسافر، وكل حاجة هتستقر زي زمان.
- يا رب.

هتفت بها نانسي وهي تزفر في رجاء ثم أغمضت عينيها
وسكنت تماماً بين ذراعي هشام...

*

استيقظ هشام في الصباح على أصوات جلبة بالأسفل،

وشعر وكأن أحداً يناديه. اعتدل في فراشه متسائلاً، لمن عساها تكون تلك الأصوات! لم يجد بداً من القيام والنزول للاستكشاف، فتح باب غرفته فأنته الكلمات المستجديّة بوضوح:

- حرام عليكم. أنا ما عملتش حاجة.. يا أستاذ هشام..

صوت أم رضا!

نزل هشام السلم سريعاً، ليجد عدداً من رجال الشرطة قد تناثروا في البهو، وفي المنتصف أم رضا باكية، ويجوارهم نجاة، يغلب على سمّتها الإصرار ورباطة الجأش. رآته أم رضا فجرت نحوه مولولة، سبقتها نجاة إليه وانتهت به جانباً، قائلة من فورها:

- ماترعلش إني اتصرفت من نفسي، لكن أنا عارفة إنك كان لا يمكن توافق!

- عملي إيه؟

سألها هشام في أسي..

- بلغت البوليس عن شكوكا...

- إزاي عملي كدة!؟

- مراتك بترجع وحالتها تقلق.. عايزني أستني لحد ما

تموت بين إيدينا بالمادة إياها زي اللي سبقوها؟

- إنتي بتقولي إيه؟

- اثنين ماتوا بنفس الأعراس، عايز مراتك تكون
الثالثة؟!

قالتها نجاة بصوت حاد، ثم إزاء الشحوب الذي اعترى
وجه أخيها خففت من صوتها قليلاً وهي تقول برفق:

- أنا عملت كدة علشان بيجبم وكان بجب أم رضا حتى
لو مش هتصدقني. عايزة التحقيقات تبرأها علشان نعيش
مرتاحين البال من غير شكوك.

تجمدت نظرة هشام المبهوتة إليها غير مصدق ما فعلته.
رفع يده وكأنه سيتكلم، ثم أعادها إلى جانبه مع زفرة
يأس وتوجه نحو الضابط، الذي طمأنه بأن الأمر لن
يعدو استجواباً سريعاً وتحققاً من بعض المعلومات ولن
يستغرق سوى بضع ساعات. فطلب منه هشام الانتظار
لعدة دقائق حتى يرتدي ملابسه ويذهب معهم إلى القسم.
أوما الضابط برأسه موافقاً فأسرع هشام صاعداً إلى غرفته
يحمل على كتفيه رأساً ثقيلاً تنهيه الأفكار. تفاجأت نانسي
بدخوله الهادر عليها فسألته متوجسة:

- خير؟

أخبرها بما حدث بكلمات مقتضبة وهو يخلع منامته.
فهتفت نانسي مستعجبة:

- ليه أم رضا هتعمل كدة؟ إيه علاقتها بمعتز أصلاً!

- معتز هو اللي قتل رضا.

ألقي هشام بقبلكه وهو يستعد لمغادرة الغرفة فجرت عليه نانسي وتشبثت بذراعه مترجية أن يفسر لها ما قال.

- لما معتر كان طالب في ثانوي، كان يياخذ عريية باباه، من غير رخصة طبعاً. وفي ليلة ضلمة، كان في حالة سكر، فقد سيطرته على عجلة القيادة، العريية طلعت على الرصيف وخبطت رضا والروح طلعت في ساعتها. الحاج أبو معتر استخدم كل مصادره من علاقات وفلوس علشان يخرج ابنه من القضية وخلى واحد من صبياناه يعترف على نفسه ويدخل السجن بداله. أم رضا كانت هستجنن، حلفت لتنتقم منهم مهما طال الزمن. لما أمي الله يرحمها عرفت بالحكاية بقت تبعت لها مساعدات مالية لحد ما اتقلنا هنا فأقعتها تيجي تعيش معانا. كانت ماما بتكلمها كثير عن الصبر وجزاء الله بغير حساب للصابرين. وإزاي ربنا بيهمل ولا يهمل ولو بعد حين.

شدت نانسي قبضتها على ذراع زوجها فأوجعته وهي تسأله بنبرة جشاء استغرب لها:

- تفتكر؟

نظر إليها مدهوشاً وهو يجيب:

- طبعاً...

ثم أكل لها مسرعاً كي تخلي سبيله:

- مع الوقت اتها لنا إن أم رضا رضيت بنصيبها واتخلت

عن فكرة الانتقام. لكن بعد موت معتز ابتدت الشكوك
تزيد في عقل نجاة، حاولت تقنعني نبلغ البوليس بعلاقة أم
رضا القديمة بمعتز ولما رفضت بلغت هي.

قالها هشام ونزع نفسه من بين يدي زوجته واندفع إلى
الخارج، فأنته دعوتها من خلفه،

- ربنا معاكم.

(26)

كفاية الأدلة!

فتح هشام الفيلا بمفتاحه ودلف إليها ليجد نانسي ونجاة بانتظاره في البهو، وما إن رآته نجاة حتى وقفت هاتفة:

- طمنا يا هشام، مش بترد على موبايلك ليه؟ فين أم رضا؟

تنحى هشام جانباً عن الباب فظهرت من ورائه أم رضا يكللها الانكسار والحزن. أقبلت عليها نجاة قائلة:

- حمدالله على سلامتكم يا أم رضا، تعالي استريحي.

وأخذتها من يدها نحو غرفتها وهي تحدج هشام بنظرات ذات مغزى اختار أن يتجاهلها ويرمي بجسده المنهك على أقرب مقعد. نظرت له نانسي متسائلة، فلم يتكلم. عادت نجاة بعد دقائق وجلست بجواره وسألته في قلق:

- إيه اللي حصل؟

لم يجبها فاستشعرت نانسي الحرج وقامت قائلة:

- هاسيكم على راحتكم.

- استني يا نانسي. هشام زعلان مني أنا.

انفجر هشام قائلاً:

- مش مصدق اللي عملتيه! ومن غير ما تقوليلي!

- هشام، أنا مقدرة زعلك، لكن افهمني، ما كانش ينفع أسكت، وكل ما تحصل حاجة نقلق ونبصلها بشك.

- عن نفسي، ما كانش عندي أي شكوك، وما كنتش قلقان، وأهه نانسي الحمد لله بقت كويسة.

- أنا كنت ميالة لبراءتها، لكن البوليس كان لازم يحقق بنفسه ويثبتها. ها إيه اللي حصل؟

سألته بلهفة أجابها بزفرة ضيق وبدا وكأنه لن يرد، ولكنه بعد لحظات قال بصوت حاد:

- ضابط المباحث حقق معاها ومشأها لعدم كفاية الأدلة.

رمقته في عدم فهم فأردف:

- المادة السامة اللي لقوا آثارها في جثث معتز ووالدته مادة كيميائية مجهولة. ماقدروش يربطوها بأم رضا، بالذات إن موت رضا كان من سنين طويلة. فإيه اللي يخليها تنتقم منهم دلوقتي؟ أنا كمان أكدتلهم إنها ما بتخرجش من البيت أبداً حت...

قاطعته نانسي قائلة في خفوت:

- بس أم رضا ساعات بتخرج تقضي اليوم كله عند أختها في ميت غمر.

اتجهت إليها أنظار هشام ونجاة فأردفت:

- أنا ما قصدش حاجة أنا بس...

ثم قطعت عبارتها وصمتت، فنظرت نجاة لهشام وقالت في غضب:

- وانت ما قلتش كدة في التحقيق يا هشام؟ دي كدة تبقى شهادة زور..

وقف هشام فجأة وقد احمر وجهه ونفرت عروق جبهته ورقبته، همَّ بقول شيء ما ثم عدل عن ذلك وصعد إلى غرفته. منحت نانسي نجاة نظرة اعتذار سريعة ثم لحقت بزوجها بينما أخذت نجاة تذرع البهو جيئة وإياباً.

*

- عارف يا هشام، من ساعة ما سكنت هنا وأنا فاكرة إن رضا دي بنت، لحد ما شفت الصورة يوم عياط أم رضا!

قالتها نانسي محاولة قطع الصمت الذي غرق فيه زوجها، فأجابها باقتضاب:

- آه.

- اسم رضا ده يمشي بنت وولد، زيه زي اسم نور. كان عندي زميل في الشغل اسمه نور التجوز بنت اسمها نور برضه.

لم يرد هشام. بدا غائصاً في أفكاره الغاضبة.

مرت عدة ساعات حتى انطفأت أنوار المنزل. ظن كل سكانه أن الآخرين نيام، ولكن في الحقيقة، عيون كثيرة كانت ساهرة، تحديق في السقف. وعقول عدة كانت حائرة، تفكر...

شعر هشام بالضجر من محاولاته النوم بلا فائدة، فقام من فراشه، وذهب إلى غرفة الجلوس بخطوات خفيفة، ليجد مصباحها الجانبي مضاء، ونجاة جالسة بجواره، يبدو عليها ضنى التفكير هي الأخرى.

- إنتي لسة مائتميش؟

سألها هشام بنبرة حاول أن يجعلها لطيفة محاولاً تبديد التوتر الذي ساد بينهما.

- اقعد يا هشام، زعلك يعز عليا، إنت عارف، لكن فيه أرواح راحت.. ماقدرتش أسكت.

قالتها وهي تزم شفيتها في حيرة وعجز.

- خيلنا نفكر بالعقل، إنتي مقتنعة إن أم رضا عملت كدة فعلاً؟

نظرت نجاة في عيني أخيها الصافيتين المتعبتين ثم أطرقت برأسها معترفة:

- لا.

- ممتاز. والمنطق كان يقول كدة، المادة اللي لقوها مش عارفين أصلًا هي إيه؟ يبقى منين هتجيبها أم رضا؟ وبعدين هي نادرًا لما بتخرج، هتوصل لأم معتز إزاي علشان تسممها؟

- ولاء قالتلي إن شهد بنتها لما شافت أم رضا يوم العزومة شاورت عليها وقالت إنها شبه الشغالة اللي كانت عند جدتها.

- يا نجاة، الشغالات اللي في السن ده بيبقوا شبه بعض في الهيئة وطريقة اللبس والكلام، وشهد طفلة، مش معقول نتهم حد بناء على كلامها. وبعدين بالعقل كدة.. إزاي أم رضا هتشتغل في مكانين في نفس الوقت؟ هنا وهناك!

صمت نجاة متفكرة، ثم قالت مفسرة شكوكها:

- أم رضا متغيرة بقالها قرة، بتصلي كتير وبتعيط وهي بتصلي ويتحضرن صورة ابنها. بقت بتنسى كتير وإيدها بتترعش. لما لقيت مراتك بترجع اترعبت وماقدرتش أسكت ولا أستنى لحد ما يبقى فيه ضحية تالته.

- طب وهتعلم كدة ليه في نانسي؟ دي بتحبها وحنينة عليها.

زمت نجاة فها وزفرت قائلة بقلة حيلة:

- يمكن نانسي شافتها بتعمل حاجة يوم العزومة في

الأكل. ولما ظهرت نتيجة تحليل جثة معتز ومامته أم رضا خافت لحسن نانسي فتفكر اللي شافته وبتكلم فقررت تسكتها وتخلص منها.

- ما فكرتيش تسألني نانسي؟

- سألتها إمبراح وانتم في القسم.. أكدتلي إن مفيش حاجة غريبة حصلت.

- إنتي اتسرعتي يا نجاة.. وجيتي جامد على أم رضا.. مش كفاية إنها اتحرمت من ابنها الوحيد، هنظلمها إحنا كان؟

أطرقت نجاة وقد احمر وجهها وظهرت عليها ملامح تأنيب الضمير. هتفت في يأس:

- مين طيب.. مين اللي عمل فيهم كدة؟

- مش أم رضا، وهو ده المهم.

- طيب تعرف إيه عن البنت اللي كان معتز ناوي يتجوزها؟

- هتقتله ليه؟ إيه الدافع؟

- علشان وعدھا بالجواز وخلي بيھا. عندك فكرة قابلھا فعلا واللا لأ؟

- قابلھا.. قبل ما تظهر عليه أعراض المرض، بس ماعرفش إيه اللي دار بينهم.

- أظن تهديدات ولاء له بالاختفاء مع الولاد خلته
يتراجع عن فكرة الجواز الثاني. ممكن يكون قابل البنت
دي وقالها إنه مش هيتجوزها واتخانقوا فحطت له السم في
الأكل.

- يا سلام.. طب لو كدة.. مين اللي قتل والدته؟
وبنفس المادة.. وقبل ما هو يموت.

ظهرت الحيرة على وجه نجاة فابتسم هشام وهي تحاول
تلبس الجريمة لرنا، تلك الفتاة المجهولة التي لا يعرفون عنها
شيئاً.

- معتز دايمًا كان يتباهى إنه من عيلة غنية. يمكن حكي
للبنت إنه هيوث مبلغ كبير من مامته لما تموت فعجلت
بالقضا على أساس إنها هتجوزه.

- قصة ماتقنعش حتى طفل صغير.. موتت مامته قبل
ما حتى تشوفه.. قتل احتياطي! وبعدين وصلت لها إزاي؟
وبأي حجة اتقربت لها علشان تدسلها السم؟

- بسيطة، إنت عارف إن مامة معتز كانت دايمًا بتسيب
باب شقتها مفتوح بعد ما حركتها قلت، ما هي كانت
ساكنة في الدور الأخير وعارفة إن ما حدش هيطلع فوق
غير علشانها. يمكن رنا دي طلعت حطت لها السم ونزلت
بسرعة من غير ما حد يشوفها.

- قلبنا على فيلم هندي.

اغتاظت نجاة من استخفاف هشام بنظريتها فقالت في
تصميم:

- بكرة هاخذ معتزة ونعدي نسأل حارس العمارة إن
كان لمح بنت غريبة طالعة عند مامتها قبل ما تموت بكم
يوم.

- وهيفتكرا!

- إن شاء الله.

مع حارس العقار

وقفت نجاة أمام مدخل البناية الشاهقة بجوار معتزة التي
رفعت عقيرتها بالنداء:

- سالم، ساااالم، يا سالم.

ظهر سالم من فتحة المرآب يهرول نحوها بجسده
الضخم، وشواربه السوداء الكثيفة. كان يرتدي جلباباً
أبيض يميل إلى الزرقة، وهو اللون الذي كثيراً ما حير
نجاة، فلم تفهمه، أهو أبيض في الأصل؟ وتعرض لبهتان
من قطعة ملابس زرقاء اللون أثناء الغسيل؟ أم أن هذا
اللون الأبيض المزرق الذي يشوبه القليل من البنفسجي هو
درجة لون مستهدفة لذاتها!

اقرب منهما سالم مرحباً بصوته الغليظ الأجش ولكنته
الثقيلة ذات الحروف المفخمة:

- أهلاً أهلاً ست معتزة، خطوة عزيزة.

مرت عدة دقائق ومعتزة تطمئن على أحوال سالم
وعائلته، وعلى أحوال البرج والسكان باهتمام وتؤدة،
بينما كانت نجاة تقف بجوارها كالطود الراسخ، تنتظر في
نفاد صبر انتهاء المقدمة، والانتقال إلى الأسئلة التي جاءت
من أجلها... لقد جاهدت طويلاً مع معتزة كي تقنعها
باستجواب الحارس، إذ إن معتزة ذات الطبع

الهادئ المنطوي، لم تكن راغبة في فتح الملفات القديمة. وقد أدركت نجاة من مناقشتهما الحادة أن معتزة تفضل الاستقرار، على الحقيقة! امرأة لم ترزق بأطفال، فعانت هي وزوجها من تعليقات الناس وحدة ألسنتهم، القريب قبل الغريب، والأم قبل الحماة. حتى لم تجد أمامها سوى خيار الانسلاخ والانغلاق، فوضعت هي وزوجها جل وقتها واهتمامهما في تطوير العمل ودفعه إلى الأمام. وقد نجحت مساعيمها بوضوح، فانتقلت شركة الحاج محروس إلى مصاف الشركات الكبرى في السنوات القليلة التي تلت وفاته، وإن ظلت معتزة على مظهرها البسيط؛ سروال أسود واسع وسترة صيفية حمراء اللون، تصل إلى أعلى الركبة، ذات أزار كبيرة، تركتها مفتوحة، ليظهر من تحتها قيص مزركش، وقد لفت على رأسها طرحة بيضاء.

انتهت معتزة من المقدمة التمهيدية وانتقلت صوب المراد قائلة:

- قبل ما ماما تموت بكام يوم، مفيش حد غريب زارها؟

تدخلت نجاة قائلة:

- شابة صغيرة مثلاً؟

رمقها سالم باهتمام وقد اتسعت عيناه حتى ظنت أنه سيؤمن على قولها، إلا أنه سرعان ما أغمضها نصف إغماضة قائلاً:

- لأ.. ماحدث غريب زارها.

شكرته معترزة وهمت بالرحيل، فاقنصت نجاة دفة
الحديث قائلة:

- ماحدث خالص؟ حاول تفكر.

صمت سالم للحظات يفكر - دون أن تظهر عليه أمارات
التفكير حقاً - ثم قال:

- مفيش.

لم تياس نجاة فسألته:

- طيب مين زارها من معارفها؟

- بنات الأستاذ معترز ومراته، والست طبعاً.

قالها مشيراً إلى معترزة التي أمنت على كلامه بقولها:

- أيوة.. يوم ما تعبت وخذناها ع المستشفى.

- وزرتها قبل اليوم ده بيومين.

- لا يا سالم، إنت شكلك اتخلبطت.

حك سالم رأسه بينما ظهرت على نجاة أمارات التفكير
العميق وكأنها تتذكر شيئاً بمعزل عن الحوار الدائر، لتسأل
نجاة:

- إنت قلت إن مدام ولاء زارتها؟ إزاي.. دي كانت

مسافرة وقتها المفروض.

تدخلت معتزة مفسرة لصديقتها:

- ولاء جابت البنين من السعودية. وباتت ليلة عند أهلها
ورجعت لمعتز ثاني يوم.

لمعت عينا نجاة وأمسكت بكتفي معتزة تهتف بصوت
عال اهتزت له شوارب سالم:

- يلا بينا.. بسرعة!

شكرت معتزة سالم على عجل وهمت باللحاق بنجاة عندما
استوقفها صوت نسائي يناديها، نظرت لتجد إحدى
جاراتهم القدامى تهول نحوها مسرعة قائلة في تأثر:
- معتزة، البقية في حياتك.

ثم اقربت منها واحتضنتها. توقفت نجاة على مضض،
منتظرة أن ينتهي مشهد التعزية الذي اعتبرته معطلاً للخطط
والأفكار التي أخذت لتكاثر في رأسها وتزدهر.

راقبت نجاة السيدة المعطلة وهي تتكلم مع معتزة في
تأثر واضح، ولفت نظرها عدم تناسق ملابسها، وتساءلت،
ألم تنظر في المرآة قبل أن تخرج؟ طرحة كبيرة مزينة
بفراشات ملونة، تصلح لأن تكون ستارة أو مفرش، لا
غطاء رأس سيدة بالغة بالتأكيد، ومن تحته ارتدت عباءة
رمادية، تنافرت نقوشها السيريلية البيضاء والسوداء مع
الفراشات في مشهد مزيج للعيون.

وبينما كانت نجاة تتأمل، كان حديث العزاء يدور، إذ

ردت معترزة على جاريتها بتأثر مماثل قائلة:

- حياتك الباقية يا سعاد.

- معقولة الأستاذ معترزة؟ ما صدقتش لما رجعت من البلد
وعرفت اللي حصل.

- مصيبة يا سعاد، ماما وبعدها بشهور معترزة.

- ما عرفتوش إزاي حصلهم كدة؟

استغربت نجاة اهتمام السيدة الشديد الذي بدا واضحاً
في صوتها وإيماءاتها وعدته فضولاً زائداً عن الحد. إلا أن
معترزة ردت بلطف قائلة:

- ما وصلناش لحاجة لسة.

- ربنا يطمئن قلوبكم يا حبيبتي. لو عرفتي حاجة ابقي
طمينيني الله يسترك. ماتنسيش.

قطعت نجاة حديثهما الدائر وهي تتحرك إلى الرصيف
المقابل قائلة:

- يلا اتأخرنا.

استسلمت معترزة فاستأذنت من جاريتها ثم لحقت بنجاة
وهي تقول:

- دي سعاد جاريتنا، تبقى أخت م..

- مش مهم مش مهم.. لازم نقول لهشام على ولاء فوراً.

أنهت نجاة مكالمتها مع هشام محبطة، والتفتت إلى معتزة الجالسة بجوارها في السيارة وأخبرتها أن هشام كان يعلم بوجود ولاء في مصر تلك الليلة، والشرطة كذلك تعرف تلك المعلومة. وأضافت في غيظ:

- مش عارفة ليه المباحث مش بتشك في ولاء مع إن فيه أدلة كتير عليها.

- حرام عليك يا نجاة، الولاد يعملوا إيه من غيرها بعد ما أبوهم مات؟ يعيشوا من غير لا أب ولا أم يعني؟

- معتزة... المجرم لازم ينال جزاؤه. ولاء كانت هنا قبل ما تظهر الأعراض على والدتك بكام يوم، وإنتي بنفسك قتلتي إن الود بينهم اتقطع من ساعة ما أبو معتز حرمه من الميراث.

- هي صحيح ما كانتش بتحبها مع إنها خالتها، بس يعني هتقتلها جفاة كدة لمجرد إنها مش بتحبها؟

- علشان الفلوس، تقتلها فمعتز يورثها.. وبعدين لما لقتها هيتجوز عليها، وواحدة تانية اللي هتتمتع بالفلوس خلصت عليه علشان تكوش هي على الفلوس وتأمين مستقبلها هي وولادها.

- أنا مش مصدقة إنك بتكلمي عنها كدة يا نجاة. كأنك بتكلمي عن وحش، ولاء مش كدة، إنتي ظالماها

بظنونك. مش لاقية غيرها تعلقى عليه كل حاجة، طب
ليه مافكرتيش في الشغالة مثلاً؟

- قصدك أنهى شغالة؟

- كان فيه شغالة جديدة بتروح لها 3 مرات في الأسبوع
وسابت الشغل قبل ما ماما نتعب بكام يوم.

- إنتي شفتي الشغالة دي؟ تعرفيها؟

- ما شفتهاش، كانت بتيجي لماما الصبح وأنا في الشغل،
وماقعدتش عند ماما غير أسبوع باين ولا عشر أيام.

- بس؟ ماستغربتيش طيب إنها مشيت بسرعة؟

تنهدت معتزة وهي تجيبها:

- أمي الله يرحمها كانت صعبة.. ما إنتي عارفاها..
ما كانش بيقد لها شغالات وكما متعودين على كدة.

- يلا نرجع لسالم. عايزة أسأله عنها بنفسى.

استجابت لها معتزة مرغمة، وبعد لحظات كانتا تقفان
ثانية أمام سالم عند مدخل البناية.

- سالم، مين اللي جاب الشغالة الأخرانية اللي كانت
بتشتغل عند الحاجة قبل ما تموت؟

- أنا.

- تعرفها منين؟

- ماعرفهاش.. هي اللي جاتني تسألني لو فيه حد عايز شغالات في العمارة، في الأول قتلها ع الست مني بس لما عرفت إن عندها 4 عيال سألتني على بيت تاني يكون الشغل فيه أريح، رشحت لها البشهندس عمر، فقالت مش عايزة تشتغل عند راجل عايش لوحده. قتلها على الحاجة وأنا عارف إنها مش هتعمر معاها! بس هي فرحت لما عرفت إنها ست كبيرة وعايشة لوحدها على أساس إن شغلها هيبقى قليل ومريح. مارضيتش أقولها رأيي وقلت أسيبها تعرف لوحدها. وزى ما توقعت، هو أسبوع وقالت حقي برقبتي.. دي حتى مشيت من غير ما تاخذ فلوسها.

- معقولة الحاجة وافقت تشتغل عندها واحدة من الشارع ماتعرفش عنها حاجة؟

- زمان طبعاً ما كانتش بتشغل غير شغالات معرفة.. بس بعد ما سمعتها اتعرفت بين الشغالات بقت توافق على أي واحدة. المهم تاخذ صورة بطاقتها.

- فاكر اسم الشغالة كان إيه؟

- مني، هدى...

- هدى عبد الغني، ماما قالتلي اسمها وطلبت مني أستعلم عنها عن طريق واحد صاحب جوزي بس كانت سابت الشغل قبل ما حتى أفكر أقوله.

- هدى عبد الغني! أنا سمعت الاسم ده قبل كدة بس فين؟

تهدت نجاة وهي تحاول عصر ذاكرتها دونما فائدة،
فعدت تسأل:

- هي كانت ست كبيرة في السن؟ اوصفها لي كدة يا
سالم.

- لا دي كانت صغيرة.. قولي ثلاثين أربعين كدة.

سألته معترزة في استغراب:

- عرفت إزاي؟ ماما قالتلي إنها كانت منقبة.

- من صوتها... إنما شكلها ما عرفوش.

- صوتها! إنت هتألف يا سالم؟ ماما اشتكت لي إن هدى
دي كان عندها برد جامد وكانت طول الوقت بتكح
لدرجة إنها طلبت منها تلبس كمامة طول ما هي في البيت
عندها.

- أيوة.. الحاجة بعتنني أجيلها الكمامة من الصيدلية.
لكن أول يوم لما جت ما كانتش لسة عيت.

- وبعدين؟

- كانت مواظبة وبتيجي في معادها وبقاة بطلت تيجي.
الحاجة زعلت قوي.. قالت إن تنضيفها كان يقرف بس
نفسها في الأكل كان حلو وإنها ما صدقت تاكل أكل
بيتي طازة كل يوم.

أمنت معترزة على كلامه قائلة:

- ده حقيقي، الكام يوم اللي قعدتهم كانت بتطبخ لماما كل اللي نفسها فيه، حتى الفراخ والسمك كانت بتبلهم وتشويهم في البيت في البلكونة. ماما كانت زعلانة قوي على موضوع الأكل ده فعملتلها مخصوص طاجن المسقعة باللحمة المفرومة اللي بتجبه وجبتوها.. لقيتها مكلهاني تتخاق معايا إن المسقعة وحشة وإنها رمتها كلها في الزباله.

ابتسم سالم ابتسامه واسعه أظهرت أسناناً ضخمة، صفراء لونها، مبقعة من أثر الشاي، أو التدخين، أو الاثنين معاً:

- الله يرحمها بقى.

مطت نجاه زاوية فها اليسرى إلى أعلى غير سعيدة بالنتيجة التي وصلت لها، لكنها شكرت سالم وعادت مع معتزة إلى السيارة مجدداً.

شكوك مؤرقة

في المساء.. جلس هشام في غرفة المعيشة يتابع إحدى المباريات في شغف، حينما اقتحمت عليه نجاة خلوته وجلست بجواره منهكة. لم يلتفت إليها لانهما كه في أحداث المباراة فهتفت قائلة:

- أنا تعبانة.

علق بآلية وعيناه تتابع حركة الكرة على الشاشة:

- سلامتك، آخذك للدكتور؟

- هشام!!!

سحب هشام انتباهه من الشاشة بصعوبة، محاولاً ربط عبارتها بأي شيء قد يخطر على باله، فهو يعرف أن نجاة لا يصدر منها اعتراف أنها متعبة بسهولة. نظر إلى وجهها، فهاله الإرهاق البادي عليها، حتى عيناها اللتان كانتا دوماً لامعتين ومتحديتين، أضحتا منطففتين وغائرتين.

انقبض قلبه وهو يسألها بقلق:

- مالك يا نجاة فيه إيه؟

- لازم أعرف.

أجابته بزفرة يائسة وهي تنظر إليه مترجية. صمت هشام

لحظة يحاول فك شفرة العبارة، ثم أدرك ما تعنيه فلوح بذراعيه في الهواء معترضاً:

- لا يا نجاة، كفاية بقي.. مش إنتي كنتي بتقولي إن التحقيق مسئولية البوليس؟

- قلبي واجعني.

- وهو إنتي عندك واحد؟

قالها هشام مازحاً في محاولة لفك التوتر المخيم بيد أن ملاح الجدية والتعب التي ارتسمت على وجه أخته لم تنفرج، فقرر أن يجاريها قائلاً:

- إيه اللي جد؟

- حاجات كثيرة.. أنا متأكدة إنها ولاء.

قالتها بنبرة مناشدة، حلت محل نبرتها الواثقة المعتادة.

- نجاة.. أنا عارف إن ولاء مختلفة عنك ويمكن تكون من الشخصيات اللي إنتي مش بتحبها أصلاً في الحياة، لكن ده مش سبب كافي يخليكي تهميها.

قاطعتة نجاة قائلة:

- أبداً والله، أنا عايزة أعرف مين اللي عمل كدة وارتاح وأرمي الموضوع كله ورا ضهري...

- طب إنتي فارق معاكي إيه؟ ما اللي مات مات خلاص.. وإنتي مسافرة كان كام يوم.. أنا عارف إن

تحقيق العدالة من أعلى القيم عندك بس..

قاطعته قائمة في حرارة:

- مش بس مسألة تحقيق العدالة ولو إنها مهمة جداً بالنسبة لي.. إنت بتقول اللي مات مات خلاص.. بس اللي عايش؟ ما فكرتش فيه؟

- تقصدي إيه؟

- معتزة صاحبتي وجوزها.. وولاء مرات أخوها والأطفال.. هتفضل الشكوك حوالهم وفوقهم زي سخابة سودا مش بتعدي. وكل يوم هيشكوا في بعض أكثر والعلاقات توتر ومين عارف ممكن يحصل إيه.. بص.. البواب قال إن الشغالة اللي كانت عند طنط كانت شابة، يعني فعلاً مش أم رضا.

- ماحنا عارفين.. وده اللي أكدته تحريات المباحث.

- يبقى إيه هو وجه الشبه اللي شافته شهد بين الشغالة دي وبين أم رضا؟

- طفلة... مايتاخدش بكلامها.

- بالعكس. دي طفلة ذكية وقوية الملاحظة.. أنا اتكلمت معاها.

صممت نجاة للحظة متفكرة، ثم أردفت قائلة:

- ركز معايا، ولاء ماكانتش على وفاق مع أهل معتز،

ولا معاه هو شخصياً، وكانت بتحب الفلوس. خططت
تخلص من حماها، بحيث الست تموت وهي برة مصر
فاحدش يشك فيها ومعتز يورثها ويتمتعوا بالفلوس سوا.
اكتشفت علاقة معتز برنا وعرفت إنه قابلها فعلاً وناوي
يتجوزها. خافت يضيع فلوس الميراث عليها. قررت تتخلص
منه وتضرب عصفورين بحجر، تاخذ فلوس ميراثه من أمه
وعليهم مبلغ بوليصة التأمين.

- المباحث عندها كل المعلومات دي وحقت مع ولاء
وبرأتها. حد غيرها هو اللي عمل كدة يا نجاة... اعترفي.
الحارس ماقلش عن أي زيارة لمامة معتز بخلاف ولاء
وبناتها؟

- إيه؟

هتفت بها نجاة وقد شحب وجهها وتجمدت ملاحظها ثم
أردفت بصوت متهدج:

- معتزة.

بهت هشام وفغرفاه، فاستطردت قائلة:

- لو مش ولاء تب...

وصمتت لحظة تجمع فيها شتات أمرها، ثم قالت بزفرة
حارة:

- تبقى معتزة...

بدت وكأنها تغصب نفسها على الاعتراف بما حاولت

إنكاره من قبل، فقالت بصوت شارد:

- الحارس قال إن معتزة زارت مامتها قبل ما تموت بيومين، بس معتزة قالت إنها ما شافتهاش غير يوم الوفاة. شكوكي كانت كلها ناحية ولاء، بس دلوقتي.. لما بافكر في كلام الحارس...

- معتزة صاحبتك يا نجاة... إيه اللي جراك؟

- صاحبتي وعشرة سنين.. بس إزاي أقدر أمسح الحقيقة اللي ظهرت قدامي؟ حاجات كثير سمعتها عمالة تربط دلوقتي في عقلي.. كلها بتشاور على معتزة!

- حاجات زي إيه؟

تكلمت نجاة بهدوء وتركيز، وكأنما تنظم أفكارها وتجمع شتات أمرها بالحكي:

- علاقة معتزة بوالدها كانت سيئة زي ما انت عارف، بسبب معايرتها ليها هي وجوزها بعدم الخلفة. وكان مامتها كانت متغاظة إن جوز معتزة هو اللي بيدير الشركة مكان ابنها معتز. ولاء قالتي إن ميادة سمعت خناقة بين معتزة ومامتها قبل ما تموت بكام يوم. الأم كانت بتطالب معتزة إن أخوها يرجع يدير الشركة معاها بعد ما فقد شغله بالخليج. الكلام ده جنن معتزة.. أكيد حسنت إن تعبها وشقاها في الشركة هي وجوزها كل السنين اللي فاتت مهدد بالضياح على إيدين معتز المعروف باستهتاره وإسرافه ومشاكله اللي مايتخلصش.

- ده مش سبب كافي إنها تقتل مامتها يا نجاة. إنتي خيالك فاق الحد.

أكلت نجاة كلامها كأنها لم تسمعه:

- علاقة أصلاً وحشة وخناقة عنيفة، وبعدين معتزة تطبخ لها طاجن المسقعة اللي بتجبه وتروح لها بيه؟ مش غريبة!

- يمكن علشان تصالحها يا ستي.

اقترح هشام.

- مش شخصية معتزة، في المواقف اللي زي دي بتاخذ جنب قرة. وبعدين معتزة قالت بنفسها إن الأكل ما عجيبش مامتها ورمته في الزبالة بسبب طعمه اللاذع... وده معناه إنها...

انتظر هشام في صبر أن تفصح نجاة عما ترمي إليه،

- إنها دست لها المادة إياها في طاجن المسقعة.

*

قفز هشام عن مقعده مع عبارة أخته الأخيرة وكأثما لدغه ثعبان.

- إيه اللي إنتي بتقوليه ده؟ طب ومعتز؟ قتلته برضه؟

سألها هشام في محاولة منه لدحض أفكارها إلا أنها فاجأته بإيماءة بطيئة من رأسها جعلت عيونه تتسع في غير

تصديق، بينما أكلت هي بتآن:

- معتزة روحها في أولاد أخوها...

- فتقوم تقتله؟ إنتي بتفكري إزاي!

أكلت بذات النبرة الهادئة وكأنها لم تسمعه:

- علشان تحمي الشركة وتعب السنين.. ومش بعيد علشان

تحمي حياتها الشخصية كان.. خافت لحسن جوزها يسببها

أو يتجوز عليها لو حس إن الشركة والوضع المادي الكويس

اللي عايشين فيه بسببها ممكن تروح.. كان ولاء أقسمت

إنها هتهرب بالعيال لو معتز إتجوز عليها. معتزة عرفت إن

أخوها ناوي ع الجواز، خافت لحسن تحرم من ولاده

وهي عارفة إن ولاء مجنونة وممكن تنفذ تهديدها.

- مش الأوقع معتزة تقتل ولاء وتسيب معتز يتجوز

وتنفرد هي بأولاده.

رفعت نجاة رأسها إلى أخيها وقد فاجأها منطقه، تحركت

نحو النافذة بكتفين محنيين وكأنما ازداد عمرها عشر سنوات

دفعة واحدة. عادت تقول بنبرتها المتأنية وكأنما تفكر مع

نفسها بصوت عالٍ:

- يبقى جوز معتزة هو اللي عملها. قتل الأم بسبب لسانها

الطويل اللي ياما غلط فيه.

- فجأة؟ بعد ما اتعود على لسانها السليط، وهي بلغت من

العمر أرذله وأضعفه، وكان هو استقر له أمر الشركة

وازدهرت على إيديه هو ومعتزة؟

- هو ده مربوط الفرس، عرف من معتزة برغبة أمها في إعادة معتز للشركة، قرر يخلص منهم الاثنين علشان يخلاله الجو. إنت ماتعرفش الشركة بالنسبة لهم إيه. معتزة قالتها كذا مرة.. الشركة هي ابنهم اللي ماخلفوهوش.

- نجاة، عايزة رأيي.. أعصابك تعبانة ومحتاجة ترتاحي وتفصلي. ارجعي لحياتك في كندا، واصرفي نظر عن الموضوع ده وإلا هتجنني.

فتحت نجاة ستارة النافذة واستنشقت قليلاً من الهواء، ثم - ولدهشته - أمنت على كلامه قائلة:

- أنا فعلاً محتاجة لهدنة... هاس...

قطعت كلامها فجأة وأخذت تحدق في شيء ما من النافذة، ثم التفتت إلى أخيها وسألته:

- مين الست اللي واقفة مع نانسي في الجنيئة؟

انضم لها هشام بجوار النافذة ودقق للحظة في السيدة التي ترتدي طرحة مزينة بفراشات كبيرة، ثم قال بفتور:

- قريبة ليها من بعيد، بتساعدنا بمبلغ كدة كل فترة.

- أنا شفت الست دي قبل كدة...

- هنا؟

- لأ... بس مش فاكرة فين.

قالتها وهي تضغط بكفها على صدغها في حيرة، ثم
اتجهت نحو باب الغرفة قائلة:

- أنا فعلاً محتاجة أهدأ شوية، هاروح اقرأ قرآن في
أوضة ماما الله يرحمها...

الموعد المجهول

لم تكد تمر لحظات على خروج نجاة من الغرفة حتى عادت ثانية وحقية يدها معلقة على كتفها، وقد لفت غطاء رأسها كيفما اتفق، متخيلة عن تأنيقها المعتاد. نضحت ملاحظها بالعزم والتصميم وقد استقام ظهرها وعادت لها سنواتها العشر التي اختلست من عمرها منذ دقائق. قالت لأخيها:

- عندي مشوار سريع.

- مش اتفقنا نتعشى سوا النهاردة؟

- بكرة.. قول لملك إني خرجت.

قالتها ولفت على عقبها بسرعة كي تخرج من الغرفة فكادت ترتطم بنانسي التي كانت تحمل زين داخله به غرفة الجلوس.

- آسفة يا نانسي..

قالتها نجاة مسرعة وخرجت فابتسمت نانسي متفهمة، وقد اعتادت استعجال نجاة الدائم. وضعت نانسي زين على الأرض ورفعت رأسها لهشام، فابتسم بدوره... ابتسامة حقيقية تعكس امتنانه على وجود نانسي في حياته، هدوؤها وبساطتها يحدثان توازناً لا غنى عنه، خاصة في

خضم وجود نجاة بصخبها وإصرارها الذي لا يلين. زوجته وأخته كانتا مختلفتين تماماً، كاختلاف الليل والنهار. توقف قليلاً أمام التشبيه الذي دار في عقله واحتار لأيهن يُسند دور الليل ومن فيهن تكون النهار! بعد لحظة من التأمل، اختار نجاة للنهار، بصخبه ووضوحه ومتغيراته. واختار زوجته لليل، بسكونه، وغموضه، وصمته، واحتوائه. احتضن هشام بعينه وجه نانسي الأبيض المشرب بالحمرة، وشعرها الذهبي المنسدل، فاكتفه إحساس خفيف بتأنيب الضمير، إذ شعر أنه ظلها بتشبيهها بالليل، ولكنه عاد فذكر نفسه ببهاء القمر وبريق النجوم، الليل ليس ظلاماً كله، بل له زهوته الخاصة. قطعت نانسي حبل أفكاره بسؤالها:

- نجاة هتسافر إمتي؟

انقبض قلبه للسؤال، واستغرب ما شعر به، فقال بدون تعبير:

- بعد كام يوم.

- مش عايز أنتي نجاة تسافر.

هتف بها زين معترضاً وهو يخط بكفوفه الصغيرة على ركبتي أبيه.

- ولا أنا...

قالها هشام بعفوية، قبل أن يلاحظ نظرة الاستغراب التي ظهرت على وجه نانسي، كان يعلم أنها تنتظر سفر

نجاة بفارغ الصبر، ولكنه.. وبرغم عدم واقعية رغبته، لم يرد لأخته أن ترحل عنهم. تفاجأ هشام بشعوره العاطفي، ارتباطه بنجاة وابنتها، برغم شخصية نجاة الحادة والمتناقضة ظاهرياً مع شخصية والدته الخنونة، إلا أنه لمس.. بعيداً في أعماق نجاة، حناناً.. أحيا ذكرى والدته في قلبه، وفي أرجاء المنزل.

قاطعت أم رضا أفكاره وهي تطرق على باب الغرفة
قائلة:

- مدام نانسي، الآتية هدى على التليفون، بتقولك مش لازم تكلميها، هي بس عايزة تعرف مكان عينات الشركة الصيني الجديدة.

ظهر الاستغراب الشديد على وجه نانسي وهي تقول:

- عينات الشركة الصيني؟ ماعرفش عنها حاجة!

تدخل هشام قائلاً:

- طب ما تردي عليها بنفسك بدل ما تزعجك كل شوية.

- حاولت أكلها كذا مرة وماردتش عليا. أم رضا

قوليلها إني ماعرفش.

أومأت أم رضا برأسها وخرجت بينما قالت نانسي

بضيق:

- أنا بجد مش عارفة هي عايزة مني إيه.

- مش كانت صاحبتك في الشركة.

- كانت زميلتي مش صاحبتني .. وأنا سبت الشغل من كذا شهر.

ربت هشام عليها فهدأت قليلاً، ولاحظت أنه لا يتابع أية مباريات على التلفاز، فأمسكت بجهاز التحكم وقلّبت في قنواته باحثة عن فيلم مُسلٍّ حتى عثرت على أحد أفلامها المفضلة.

مر بعض الوقت والصمت مخيم على أجواء الغرفة. هشام في شروده ونانسي هائمة مع بطلّة الفيلم وزين منشغل بالرسوم المتحركة على هاتف أبيه المحمول. رن جرس الهاتف، فيز زين صورة المتصل ومد الهاتف لأبيه قائلاً:

- آنتي نجاة عايزاك.

أجاب هشام الاتصال، وصمت قليلاً يستمع إلى أخته قبل أن ينهي المحادثة قائلاً:

- طيب.. هاجيلك.. ابعيلي اللوكيشن.

تساءلت نانسي عن فحوى المكالمة وعن الوجهة التي سيقصدها فأخبرها أن نجاة طلبت منه لقاءها في مقهى قريب. امتزجت ملاح الاندهاش مع ملاح الريبة على وجه نانسي ففسر لها قائلاً إن نجاة التقت بشخص مهم قد يميّط اللثام عن شيء يخص ما حدث لمعتز. لاحظ هشام على الفور التوتر الذي اعترى ملاح زوجته. ارتبك

بدوره وقد أدرك أنها ضجرت من مقاطعات نجاة المستمرة
لأوقاتها معاً، فقال لها برفق مصبراً:

- كلها كام يوم وتمشي.

ثم قبل رأسها وخرج...

*

تبع هشام نظام تحديد المواقع حتى وصل إلى المقهى
القريب حيث تنتظره أخته. دلف إليه فوجد ساحته
الخارجية تعج بالزبائن، تتخللهم سحب دخان الشيشة وروائح
متنوعة بين التفاح والخوخ والكتالوب. بمعرفته بنجاة،
دخل إلى صالة المقهى المغلقة يبحث عنها. على عكس
الباحة الخارجية، وجد الكثير من الموائد الشاغرة، بحث
بعينه حتى وجد بغيته في أعرق نقطة من الصالة بجوار
النافذة الداكنة. كانت نجاة جالسة في مواجهته تولي جل
اهتمامها للمرأة الجالسة أمامها، بوجه جاد وفك مشدود
وعينين تلمعان بالعزم توجس لهما هشام خيفة. لم يميز
ضيفة أخته من ظهرها، سوى أنها امرأة ترتدي حجاباً
كبيراً تزينه الفراشات.

اقرب منهما فرحبت به نجاة، والتفتت له المرأة
وحيته فعرفها على الفور. أشارت نجاة إليها، معرفة إياها
باقتضاب:

- سعاد.



(30)

هي!

وقف هشام على باب غرفة المعيشة يتأمل زوجته
الجالسة على الأريكة في دعة، تداعب بأناملها رقبة القط
المستكين بين ذراعها في رقعة، بينما كل حواسها أسيرة
لشاشة التلفاز.

«مداااا... تسمحي بالرقصة دي...»

«حد حاشك يا اخويا؟ ما ترقص»

«كدة! طب بس... أروح أتخزم وأجيلك...»

«يخنيك...»

اقرت شفتا نانسي عن ابتسامة، بينما تعلقت عيناها
بالشاشة في هيام، وكأنما انفصلت عن الكون، تدور مع
البطلة في رقصة رومانسية بين ذراعي فارس الأحلام،
على أنغام موسيقى الفالس الحاملة.

همس هشام بصوت أجش:

- رضا؟

تيس جسد نانسي مع النداء.

تجمدت أصابعها على رقبة القط،

واستحالت عيناها إلى غيمة زجاجية ملبدة.

كرر هشام النداء بصوت متكسر.. متسائل.. منكر...

- رضا!

لم تتحرك نانسي، ولم ترد. تعالى صوت أنفاسها وتلاحقت. شعر هشام بالأرض تميد من تحته، تهاوى جسده تحت وطأة ظنونه، حتى لامست ركبته الأرض.

نظرت إليه نانسي بعينين ملتاعتين، وقد غاض لون الحياة من وجهها، بينما تغيرت ملامحها في عينيه إلى امرأة أخرى، من زمن آخر...

قامت فجلست بجواره على الأرض، تنظر إليه بعينين زمرديتين كاذبتين لم يعد يعرفهما، وانعكس الضوء عن شعرها الذهبي، فلم يميزه...

اهتزت صورتها في عينيه.. وظهر على شعرها غطاء يغطيه، وقد خرجت منه خصلة كستنائية جريئة تستكشف الدنيا. عادت عيناها عسليتين، ووجهها أكثر شباباً ونجلاً. واستقرت نظرتة عند حسنة بنية صغيرة أعلى شفتيها...

*

- هشام اسمعني...

هتفت بصوت مكتوم،

- هشام قالوك إيه؟ أنا مظلومة.

قالتها برجاء بالك...

أرجع هشام رأسه إلى الوراء في تعب، وغامت عيناه.
أتاه صوتها من بعيد:

- ما ليش ذنب في كل اللي حصل، أنا مظلومة.

أراد هشام أن يستسلم للفيضان المجهول الذي أخذ يلف رأسه، مودياً بوعيه. بينما أراد عقله التعلق بالبقاء يقظاً.
أراد أن يسمع، أن يفهم.. أتاه صوتها قائلاً:

- أنا كنت عايشة مبسوفة وفي حالي، ما كنتش عايزة حاجة م الدنيا غير حنة عيل صغير أربيه مع ززو جوزي اللي حبيته.. لكن حتى دي استكثروها عليا.. أمه ربنا ينتقم منها، هي اللي سقطني، فضلت تقوله لازم تعمل التحاليل، دي بتربي ققط.

تغير فجأة المشهد من حولها، فعادت إلى الشقة الصغيرة في البرج في غمرة، تهتز الورود الوردية التي تزين الستائر أمام غلالة دموعها المترققة. وصوت أم معتز الغليظ يدوي:

- لازم تعمل التحاليل... دي بتربي ققط.

- حاضر.

ارتد إليها صوتها منكسراً، وهي تحاول طمأنة نفسها ألا ضير أبداً بالتحاليل. لا ضير؟ يأتيها معتز بعد عدة أيام بورقة التحاليل، تقول الأرقام بأن جنينها مشوّه، ويجب التخلص

الإجهاض محتمّ .. دقات قلبها الخائفة...

الطيب المجهول الذي أتوا به، ملامحه الجافة وصوته
البارد.. إصرارهم على أن يتم الإجهاض في الشقة، في
تكتّم شديد، ودون إخبار أهلها.. «علشان مايقلقوش»
و«إحنا معاكى».. هكذا قالوا!

فقدانها لجنينها...

«اللي كان عندها ابن ومات... مستحيل تنسى.. أبداً...»

نزيف ومضاعفات.. ضعف وإجهاد.. وسوسة حماها
وحميها لابنهما بتركها.. سعادتها التي تسربت من بين
أصابعها. ومعتز الذي زهد فيها بعد ذبولها.

طلاقها... وعودتها بحقيبة ملابسها... كما تنبأت عمها.

ذبول أكثر.. إصرار أمها على تزويجها بسرعة من أحمد
ابن عمها، مهندس البترول الذي يعمل بالخليج، والذي
طلق زوجته السابقة لأنها لم تكن تنجب...

حياتها الجافة معه...

لم يحبها ولم يأبه بها، لا، ولم يحنُ عليها يوماً.. كان فقط،
ينتظر الخلفة...

التي لم تأت!

كشوفات وفحوصات جديدة.. تشخيص الطيبية، بوجهها

الحزين ونبراتها المضطربة:

- التصاق في الأنابيب بسبب مضاعفات من عملية الإجهاض.

الحمل المنتظر لن يحدث..

طلاق جديد... وعودة بحقيبة ملابسها.. من جديد.

رفضها لواقعها.. تمردا. انسلاخها وهروبها من الجميع. اهتمامها بدراستها، وحصولها على دورات تدريبية. نجاحها في حياتها العملية. وانتقالها للسكن وحدها بعيداً.. و.. إغلاق الباب في وجه الحب والأمل معاً..

التدرج في الوظائف.. وظيفة إدارية مرموقة.

آلام في العظام.. مطلوب تحاليل جديدة.. تقودها قدماها لذات المعمل القديم.. المعمل يطلب رقم البطاقة، ثم يعطيها رقم تسجيل تستطيع به الولوج إلى موقعه الإلكتروني ومتابعة تاريخها المرضي.

الفضول يحركها لرؤية تحاليلها السابقة. ها هو التحليل الذي أجهضوها من أجله!

تجري عيونها على الأرقام.. تقف عند رقم بعينه... وتميد بها الأرض.

نهضة الانتقام

تراقص الأعداد أمام عينيها في رقصة شيطانية.
هذا ليس الرقم الذي أجهضوها من أجله...
هي تذكره جيداً، بأعداده الخمسة وموضع علامته
العشرية.

بحافل الذكريات تحاصرهما.

لقطة مهمة تسحبها من ذاكرتها في بطن.

معتز، وهو يفتح الباب لصديقه هشام ويأخذ منه الورقة
ويخبرها أن صديقه قد استلم نتيجة التحليل من المعمل.

تجري نحو حجرتها وتخرج تلك الورقة القديمة المجمدة
المصفرة التي احتفظت بها أعواماً.. الورقة التي أهدمت
أمومتها وسعادتها.

تفتحها..

الأرقام مختلفة بين الورقة التي في يديها، والتحليل الذي
أمام عينيها!

اتضح لها المؤامرة...

الخطة الشيطانية التي خططت لها أم معتز، ونفذها معتز،
بمساعدة صديقه هشام. صديقه الذي كان دوماً يتفاخر

بأنه أفضل من يقوم بعمل التعديلات على الصور بواسطة برنامج «الفوتوشوب».

ثلاثة شركاء في المؤامرة التي أودت بحياتها الزوجية...
الأولى والثانية.

وحرمتها من الأمومة إلى الأبد.

لن تدعهم يهناون بحياتهم بينما تتجرع هي نصيبها من
الوحدة واليأس.

شهوة الانتقام تشتعل وتتمكن.

تحديد المطلوب الانتقام منهم.. معترز، وأمه، وهشام.

سهر الليالي ووضع الخطط.

غيرت اسمها، وشكلها.

صبغت شعرها، وبدلت لون عينيها.

غيرت وظيفتها وابتعدت عن كل من يعرفها.

حتى سوسو.. بالذات سوسو.. فهي تعرفها أكثر من
نفسها. وتقرأها من اختلاجة عين وارتعاشة شفاه،
وبالتأكيد ستكشفها. أصبحت تراها في الشهر مرة. وتولي
هاربة منها، ومن نفسها!

استقرت في العمل الجديد، والسكن الجديد. وعرفها
الجميع باسمها الجديد.

نانسي...

وانتظرت نانسي...

مثل القط الذي يتربص لفريسته، في صبر وتؤدة. القط الذي أجهضوها بذريعته، بينما كان هو أخلص الكائنات إليها.

انتظرت وتهاأت للحظة التي تشهياها، كي تأتي بها الرياح للسفن.

عينة المبيدات الحشرية الجديدة تصل من الصين إلى الشركة التي تعمل بها. تقرأ النشرة المصاحبة لها.. تأثير المادة إذا تناولها البشر، يتشابه كثيراً مع تأثير الطعام الفاسد. الفرق الوحيد.. أنها مادة قاتلة!

مادة جديدة، براءة اختراع. اكتشافها وتبعها سيكون صعباً.

عليها يقع الاختيار.

تنكرت في شكل خادمة، وارتدت النقاب حتى لا يتعرف عليها أحد، واستخدمت صورة بطاقة زميلتها هدى لكي تعمل لدى والدة معتز.

دست لها المادة في الطعام، واختفت قبل ظهور الأعراض عليها...

وانتظرت.. حتى أتاها خبرها...

سعادة وانتشاء.

يشوبها حزن وموات!

تطرح ضميرها طرحة أخيرة ليلفظ أنفاسه. وتعدو نحو
المرحلة الثانية من الانتقام.

هشام!

تراقب تحركاته.. المركز العلاجي أفضل نقطة للالتقاء..
تذهب إليه.. تقتحم حياته.. وتتزوجه.

حبها لزين... الحب الحقيقي الوحيد الذي كان يَحْزَنُ
إنسانيتها الميتة!

حيرتها إزاء هشام.. لن تسمح لقلبها بحبه.. فهو من
المجرمين ويجب التخلص منه.

عودة معتز إلى البلاد في غير مواعده!

لا بأس بتبديل الأدوار.. فليكن معتز أولاً.

المأدبة... فرصة لا تعوض!

أخفت ملامحها بشعرها المنسدل، ومستحضرات
التجميل.. الكثير من مستحضرات التجميل التي تغير
الشكل دون أن تكون ظاهرة.. وطبقة كثيفة من كريم
إخفاء العيوب غطت بها الحسنة أعلى شفتها.

أما أداة الجريمة..

فهي نفس المادة الصينية.

يجب أن يكون الطعم قوياً ولاذعاً وحريفاً، حتى يغطي على طعم المادة.

خلطة الجمبري التايلاندية!

ويجب أن تكون هي حريصة في توزيع الأسيخ. لا تريد لأحد أن يتأذى بخلاف من آذوها.

أنت بفكرة تقديم الأكل على الطريقة الإنجليزية، لضمان توزيع الأسيخ بنفسها، واختلقت رواية «الشف» الذي اعتذر على آخر لحظة.

بينما خططت هي لتكن «الشف» منذ اللحظة الأولى.

تعليق شهد عند دخولهم.. ارتباكها.. رد معتر الذي أنقذها.. فليظنوا أن عاملة النظافة المقصودة كانت أم رضا.

لا يهم!

تعليق ولاء على عاملة النظافة التي عملت لدى أم معتر. ارتباكها مجدداً.. وقوع الكوب من يدها وصوت تهشم الزجاج.

ماذا دهاها؟

ليتهم يظنون أنها أم رضا.

ظهور آثار المرض على معتر.. الموت.. الانتصار.

هل فرحت؟

هشام ليس طبيعياً!

زيارة حنان.. سماعها لجزء من كلام هشام المسجل
لدى حنان.. ضميره يعانني! ألم يكن يعلم بفعلته؟! معتر لم
يصارحه بسبب التزوير؟ هشام كان يظنها مزحة! هشام
بريء!!!

ماذا تفعل؟

هشام الطيب.. حيرة.. ذبول..

ثم القرار.. ستسعد معه.. ستنسى ما فات.

لديها الآن أسرة.. ستعيش سعيدة.. إلى الأبد.

ظهور نجاة.. إصرارها على النباش فيما حدث.. هي تكره
نجاة.

هل تدس لها المادة هي الأخرى؟

ولكن كيف اكتشف هشام أمرها؟

خرج صوتها أخيراً وهي تسأله:

- مين اللي قالك؟

صمت... تهزه من كتفيه وتعيد سؤالها.. يأتيها الجواب:

- أنا يا رضا...

ترفع رضا رأسها وتنظر نحو المتكلمة لتهتف غير مصدقة:

- أبلّة سوسو!!



المواجهة

وقفت سعاد على باب الغرفة والدموع تغرق وجهها.
نزلت على ركبتيها وأمسكت بكف نانسي في خان متسائلة
بنبرة تقطر أسى:

- له يا رضا... له بعدتني عنك؟

- كنتي هتعرفي أنا بافكر في إيه.. وكنتي هتمنعيني أنتقم.

- يا ريتني عرفت يا رضا.. يا ريتني منعتك.

ظهرت نجاة من وراء سعاد، ووضعت كفيها على كتفي
أخيها في دعم، قائلة لنانسي بصوت حديدي:

- كنتي بتخططي لقتل أخويا يا مجرمة.

- مش أنا المجرمة، همّ اللي مجرمين، مش كدة يا أبله
سوسو؟ همّ اللي حرموني من كل حاجة وخربوا حياتي،
كان لازم يدفعوا التمن ويدوقوا من نفس الكاس.

ردت نجاة بغضب هادر:

- إنتي فاكرة نفسك مين علشان تحكمي عليهم وتنفذي
الحكم؟ مافكرتيش للحظة إن ربنا خدلك حقك منهم
كلهم وخلاهم يدفعوا تمن اللي عملوه فيكي. حماتك بنتها
مايتخلفش.. زي ما حصل معاكي بسببها. وحفيدها الولد
الوحيد اللي المفروض يشيل اسم العيلة ويبقى الوريث..

عنده حالة خاصة لا عمرهم هيقدرُوا يفهموها ولا يتعاملوا معها صح. ومعتز! ماكانش طايق مراته ولا هي طايقاه وحياته كانت سلسلة من الفشل. على عكس حياتك إنتي.. ربنا عوضك بنجاح في شغلك، ورزقك بزوج أفضل من معتز ميت مرة، وف كل حاجة، أخلاق وشكل وظروف وفلوس، وكان معاه ابن بريء، حبك وحطك مكان مامته، يعني أسرة كاملة، ربنا رزقك بيها على طبق من ذهب، لكن نقول إيه في النفوس الخاوية اللي مهما خدت لا تسكن ولا ترضى!

صرخت نجاة بعبارتها الأخيرة في غضب ثم أخذت نفس طويلاً قبل أن تنظر نحو هشام قائلة في حسم:

- يلا.. قوم معايا يا هشام.. لازم نبليغ البوليس.

صرخت نانسي:

- لا.. أرجوكي.. هُمّ ماتوا خلاص.. البوليس مش هيرجعهم تاني. سيبينا إحنا نعيش.. أحلفك مش هأذي حد تاني أبداً. هاعيش مبسوفة مع هشام وزين. علشان خاطر زين.. أرجوكي.

أنباتها نظرة نجاة الجامدة ألا فائدة، فتوجهت بعبارتها نحو هشام متوسلة:

- علشان خاطر زين يا هشام.

لانت ملاح هشام عند سماع اسم ابنه. ومض الأمل

لنأسي في نظرة عينيه الطيبة فناشدته:

- عشان خاطر زين، نسي اللي فات ونعيش مبسوطين
سوا. هما كانوا مجرمين، يستاهلوا اللي حصلهم.. إنما إحنا
مالناش ذنب.. خرينا نعيش سوا.. من غير ظلم تاني.

ظلم!

انقشعت غيوم العاطفة عن العقل، وبدأ وجه هشام
يصفو.. نظر لصورة زين المعلقة على الجدار، وقال بتؤدة
وكأنه يزن كلماته:

- عشان خاطر زين..

أشرق وجه نانسي، وهمت بتجفيف دموعها وهي تنظر
لهشام الذي بدأ يرفع جسده عن الأرض متحاملاً على
أخته، وهو يستطرد قائلاً:

- عشان لازم أبلغ البوليس.. عشان العدل ياخذ مجراه..
عشان لو في يوم من الأيام زين اتظلم، أقدر أرفع أيديا
واقول يا رب.

امتقع وجه نانسي على إثر كلماته فهتفت:

- أنا اللي اتظلمت يا هشام.. قوليله يا أبله سوسو.

صرخت بها وهي تتوسل بنظراتها إلى سعاد كي تنقذها
كما اعتادت.. لكن وجه سعاد الباكي وعينها الهاربتين
أنبأتاها بقلة حيلتها هذه المرة. وحدها نجاهة كانت محتفظة
ببئتها فقالت لنانسي:

- ماتحاوليش، نفسك المشوّهة دي ممكن تئذي أي حد علشان تعيشي سعيدة. لكن إنتي عمرك ما هتحي بي بطعم السعادة اللي بتدوري عليها، عارفة ليه؟ علشان ربنا يمهل ولا يهمل، وعلشان اللي زيك مايعرفوش إن السعادة الحقيقية دي مش موجودة غير في الرضا... في الرضا وس... يااا...

ثم أكملت متهمكة:

- يا رضا...

اختفت نظرة التوسل والضعف من عيني نانسي وحلت محلها نظرة شراسة خطيرة. قفزت نحو نجاة كنمرة متوحشة فأوقفها نجاة بإشارة من يدها مردفة:

- التهم كلها ثابتة عليكي. أنا كلمت زميلتك هدى وعرفت منها أن عينات المادة اللي اختفت من الشركة واللي كانت بتسألك عنها هي مبيد حشري سام، لو اتخط في الأكل، بيعمل أعراض زي اللي ظهرت على معتر وأمه. ومش بعيد البوليس يلاقي آثارها في وسط حاجتك. كان شهد بنت معتر هتشهد إن صوتك وشكلك زي الشغالة اللي كانت عند جدتها. كان ذكاء منك إنك تعمي نفسك عندك دور برد كمبرر لتغيير صوتك وتغطية وشك بكمامة أغلب الوقت، والحاجة مع كبر سنها وضعف نظرها ماعرفتش تميزك. بس معترزة قالتلي إنها لقت صورة بطاقة زميلتك هدى في درج مامتها. تعرفي.. معتر نفسه

الله يرحمه قال لهشام إن فيكي شبه من مراته الأولانية لكن ماخطرش على باله إن مدام نانسي، سيدة المجتمع ومرات صاحبه أم الشعر الأصفر والعيون الخضرا وشياكة الهوانم.. هي رضا.. أم عباية سودا وطرحة ملونة، اللي عمر الميكاب ما عرف طريق وشها غير يوم فرحها.. رضا القطة المغمضة اللي اتجوزها كم شهر وماحدث شافها تاني من تمتاشر سنة! ويرضه كنتي حريصة إنك أغلب الوقت ماتقعديش معاهم بحجة الإشراف على الأكل، وإنك نجولة ومش بتاخدي على الناس بسرعة! حتى زين، ماكانش بيرضى يفضل في حضنك، ماكانش مطمئنك بفطرة الأطفال النقية، لكن للأسف ماربطتش في ساعتها.. وأم رضا، الست اللي مابتفارقش سجادة الصلاة والمصحف غير علشان تشتغل، كانت حاسة إن فيه حاجة مش تمام في البيت، ولولا طيبة قلبها وحسن ظنها، لكانت عرفتك على حقيقتك.

كفت نجاة عن الكلام وهي تلهث بعد أن أفرغت ما بجوفها، والتفت نحو أخيها تأخذ بيده.. استسلم هشام لأخته وخرج معها من الغرفة بخطى بطيئة، فقامت نانسي تجري وراءها وهي تنادي في حرقه:

- هشام، استنى.. هنعيش سعدا.. أوعدك.

حاولت سعاد اللحاق بها وتهديتها، فلم يمهلهما القدر.

تدحرجت نانسي من على الدرج، لتندلع صرختها مدوية،

على إثر وقوع وارتطام شديد. ثم أظلم في عينيها الكون
بأسره.

(33)

النهاية

فتحت رضا عينيها ببطء..

كانت الرؤية مشوشة أمام ناظرها، فلم تدرك أين هي.
نظرت إلى أعلى، تبحث بعينيها عن النقوش الذهبية الرقيقة
التي تزين سقف غرفتها، فلم تجدها.
ميزت همس أشخاص من حولها.
أصوات خافتة متداخلة...

ماذا يقولون؟

ضيقت عينيها محاولة التركيز. استطاعت تمييز سعاد
بوجهها الحزين الباكي واقفة إلى يمينها.. وبجوارها امرأة
أخرى.. حنان!

ثم دخل حيز رؤيتها شاب لم تره من قبل.. يرتدي
معطفًا أبيض ويده ملف أزرق. ركزت ناظرها عليه،
فقرب وجهه منها قائلاً:

- حمدًا لله على سلامتكم مدام.. آآآ

- رضا...

هتفت سعاد، بينما خطف الطبيب نظرة إلى الملف بيده
ثم أردف:

- مدام نانسي.. إحنا فقدنا الجنين للأسف لكن فرصتك كبيرة تعوضيه.. حالتك مستقرة وهو ده المهم دلوقتي.
- الجنين!

كررت نانسي في عدم فهم... اتسعت عيناها وحاولت الكلام، ولكنها وجدت فيها جافاً وشفطتها ملتصقة. نظرت إلى سوسو مستنجدة، فاقتربت منها ومالت عليها وأمسكت بكفها وقالت وهي تهرب بعينيها:

- أيوة.. إنتي كنت حامل يا حبيبي.

جاهدت نانسي لتفتح فمها. وجدت صوتها أخيراً، فسألت بنبرة مبسوطة:

- إزاي؟

- أمر الله يا حبيبي، سبحانه لما يريد... لكن وقعتك من على السلم سببت نزيف حاد... و...

ثم أشاحت بوجهها غير قادرة على إتمام عبارتها فأتمها صوت قريب:

- وفقدت الجنين..

كان هذا صوت حنان التي اقتربت في هدوء، وربت على كتف سعاد وهي توجه كلامها لنانسي:

- حالات العقم زي حالتك تعتبر عقم مؤقت.. كثير منها بيتحسن مع الزمن. هشام قاللي إنك رفضتي عملي

تحليل الحمل. قدر الله وما شاء فعل.

سألها نانسي في لهفة وقد أحيها الأمل:

- يعني ممكن أعوضه زي ما الدكتور قال؟ ممكن أبقى أم؟

ترددت حنان قليلاً، وكأنا تبحث عن العبارة المناسبة، ثم قالت متلعثمة:

- طيباً ممكن.. لكن..

- إيه؟

سألها بلهفة، ثم حركت عيونها باحثة حولها وهي تتساءل:

- فين هشام؟ فين زين وهشام؟

أشاحت سعاد بوجهها وهي تعض على شفتيها في حسرة، بينما قربت حنان وجهها من نانسي قائلة:

- جاين في الطريق.. بس لازم تعرفي إن فيه حاجات كتير اتغيرت..

- تقصدي إيه؟

سألت نانسي بصوت متوجس خيفة. فأجابتها حنان بنبرة حزينة:

- فاكرة يا نانسي لما نصحتكم تأجلوا الجواز؟ كنت حاسة إنك مش مستقرة نفسياً، وكنت عارفة إن ده مش الوقت

المناسب لبداية جديدة قبل ما نتصالح مع الماضي ونفقل ملفاته القديمة. فاكرة لما قتلتك استني لما نخلص علاج الأول، ورديتي عليا وقتلتي: إحنا مش محتاجين علاج، كفاية علينا الحب... ومع ذلك بعد الفرح حاولت أكلبك كتير علشان نتابع مع بعض... كنتي بتتهربي مني... ليه بعدتنا عنك يا نانسي؟ كان ممكن نساعدك، كان ممكن تنسي اللي فات، وتعيشي حياتك الجديدة سعيدة.

قاطعتهما سعاد قائلة بحرقة:

- آه يا رضا... لو كنتي رضيتي بالي ربنا قسمهولك..
كنتي...

قاطعتهما نانسي وكأنها لم تسمع ما قالتاه، وعادت تسأل في إصرار:

- فين هشام وزين؟

تصاعدت طرقات خافتة على الباب، نظرت صوبه في أمل،

فتح الباب...

دَخل منه زين حاملاً باقة زهور زاهية، وكان هو يفوقها بهاء في عينيها.. ووراءه دخل هشام. اتسعت عيناها وارتفع حاجباها إلى أعلى في مزيج من الحنان والأمل وابتسمت تحذوها الأمانى.. ظهرت من ورائها نجاة، بوجهها الجامد، وظهرها المستقيم، وحذائها الطارق.

تسارعت نبضات قلب نانسي وتعالى صوتها حتى غطى
على صوت الكعب الطارق وفاقه سرعة.

نظرت إلى هشام، فأشاح بوجهه عنها في حزن. قدم لها
زين الأزهار. أزاحتها جانباً، باحثة عن الأمان والأمل في
عيونهما.

- يلا يا زين.. آديك شفتها واديتها الورد.

قالتها نجاة ببطء وهي تسحب زين. رفعت نانسي نصفها
العلوي عن الفراش محاولة التمسك بهم. مدت يدها
نحوهم، فوجدتها مقيدة إلى الفراش، أخذت تهزها في
عنف محاولة تحريرها وهي تراقبهم يرحلون عنها. تسمرت
عينها على ظهورهم، هشام ونجاة بقامتيهما الفارحتين
يبتعدان، وبينهما زين، كمقعد أرجوحة صغيرة يتوسط
القائمين.

رفعت نفسها أكثر كي تتابعهم بناظريها. وجدت الأفق
ينغلق في وجهها.. بجسد رجل.. في ثياب الشرطة.